الدلالة النورانية

للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

(زوايا الأشراف)

للشيخ حسني حسن خير الدين عبدالرحمن الشريف

شيخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٨/٩/١٥١٣)

رقم التصنيف: ٢١٩
المؤلف ومن هو في حكمه: جمع: حسني بن الشيخ حسن بن الشيخ خير الدين الشريف الحسيني الخلوتي الحنفي
عنوان الكتاب: الدلالة النورانية للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية
الموضوع الرئيسي: - الديانات
- الصوفية

بيانات النشر: عمان: دار لإيمان

تم إعداد الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

الدلالة النورانية

للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

(زوايا الأشراف)

للشيخ حسني حسن خير الدين عبد الرحمن الشريف الحسيني

شيخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

الطبعة الثانية

(1433 هـ - 2012 م)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى الحبيب المحبوب، وعلى آله وصحبه الأخيار ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد تكرم حضرة سيدنا عبد الرحمن حسين الشريف الكبير، قدست أسراره[١]، على إخواننا قبل مائة عام تقريباً، وخط لهم كتابه القيم (الدلالة السنية)، وقد استفاد من هذا الكتاب عدد كبير من إخواننا السابقين، مما أعانهم وسهَّل عليهم فهم السلوك واتباع السادة الأشراف. ومع أن هذا الكتاب القيم بمادته وبمحتواه وبنفحاته وبما أفاضه الله على حضرة سيدنا الكبير من عظيم العلم والدلالات قد أغنى إخواننا السابقين عن سواه من أدب السلوك ومنهاج الطريقة، إلا أننا ونحن في هذا العصر المتشابك العلوم والآراء والأهواء، وجدنا أن هذا الكتاب القيم بما حواه، يخاطب الناس بلغة ذلك العصر، حيث كان الناس يجلُّون العلماء ويحترمونهم ويقدرونهم ويقتدون بهم، ولا يخاطب عصرنا هذا الذي تشعبت فيه الآراء والمذاهب والخلافات بين

[١] سيدنا الشيخ عبد الرحمن الشريف مؤسس الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، وهو الذي فتح الله عليه بأورادها، المولود في زاوية الأشراف في مدينة الخليل عليه السلام عام أربعة وأربعين ومائتين وألف هجرية، والمتوفى عام خمسة وثلاثمائة وألف هجرية.

المسلمين، وكثرت معاول الهدم في صرح إسلامنا العظيم من الداخل والخارج، لذا احتاج في زماننا هذا إلى إثبات ما كان مثبتا، وتصحيح ما هو صحيح، وتأكيد ما هو مؤكد، فتكرم حضرة سيدنا الشيخ حسني حسن خير الدين عبد الرحمن الشريف، وارث جده حفظه الله تعالى، ونفحنا الله من بركاته، وأتحفنا بهذه (الدِّلالَةُ النُّورانِيَّةُ) التي أثلجت صدورنا بما حوته من توضيح لأصول التصوف وثوابته الشرعية، وردٍ لجميع الشبهات التي أثيرت في عصرنا الحالي بشكل عام. كما أوضح حضرة سيدنا أركان ومنهاج وآداب طريقتنا بشكل خاص، كل ذلك بالدليل الشرعي الواضح. وقد بيّن حضرة سيدنا للجميع أن طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية هي التطبيق العملي الصحيح لكل ما جاء به سيدنا رسول الله ﷺ.

ويعتبر هذا الكتاب هدية كريمة لنا من حضرة سيدنا الحبيب، فنسأل الله تعالى أن يجزيه عنا خير ما جزى وارثا محمديا عن أتباعه، لما بذله من جهد ومتابعة مضنية ووقت ثمين استلفه من راحته وراحة عائلته الكريمة. نرجوه تعالى أن يكلأه بحفظه ورعايته وحمايته، ويمنع عنه وعن أتباعه كل شر ومكروه.

هذا، وقد وهب الله تعالى طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية مواهب ومنحاً عزّ نظيرها، وتفردت برجال سندها العظام، قدست أسرارهم، وارتبطت بسند صلبي وروحي متين ومتصل بحبيبنا المصطفى ﷺ. ولا يخفى على كل ذي لب أن السند الصلبي برسول الله ﷺ، ونعني به آل بيته الأطهار رضي الله عنهم وأرضاهم، من الأهمية بمكان، ذلك أن الوراثة المحمدية ومدارجها وأسرارها، بالمعنى الذي سيرد في هذا الكتاب، اختص الله فيها آل بيت نبيه ﷺ، وهذا واضح في دلالات الآيات والأحاديث الشريفة الكثيرة.

وإذا كان الرسول ﷺ خاتمٌ لأنبياء الله الكرام عليهم الصلاة والسلام فإن عليّاً كرم الله وجهه وارث المصطفى ﷺ ووليّه على كل مسلم، وأول رجال سند طريقتنا الخلوتية الجامعة

الرحمانية. وعندما أرسل الرسول ﷺ عليّاً كرم الله وجهه إلى مكة، يوم حج أبو بكر رضي الله عنه بالناس في السنة التاسعة للهجرة، بسورة (براءة) ليقرأها على الناس هناك، قال ﷺ: **"لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي"**[٢]، فذهب بها علي كرم الله وجهه، وحمل الأمانة من رسول الله ﷺ، ومن بعده ذريته، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي قول سيدنا أبي بكر رضي الله عنه: **"ارقبوا محمدا في آل بيته"** [٣] إشارة واضحة إلى هذا المعنى، بل إن قول الله تعالى ﴿ **وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ** ... ﴾[٤] إشارة تدل على استمرار هذا الميراث المحمدي في الأمة، في رجال آل البيت الأطهار، أداء عن رسول الله ﷺ، وحملا لعبء هذا الدين، ودلالة للناس إلى الله تعالى. وإذا رجعنا إلى قوله ﷺ **"لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"** [٥] لفهمنا المعنى المقصود فيه أنهم وراث عن رسول الله ﷺ، دُرَّة الدُّرر الأطهار.

من هذا الفهم أدركنا نحن، أتباع الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، أن آل بيت العترة النبوية الطاهرة مثل سفينة نوح، كما شبههم سيدنا رسول الله ﷺ، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق. لذلك تمسكنا بأشياخنا، والتزمنا بابهم، لأنهم خير من حمل الرسالة والراية بعد الرسول ﷺ، بكفاءة وأمانة؛ وخير من صان وحافظ على العهد المحمدي، ولأنهم النور المحمدي المستمر في الأمة. وكان مشايخ هذه الطريقة، رضي الهم عنهم وأعطانا رضاهم، خير

---

[٢] ذكره ابن اسحاق بسند مرسل، وروى نحوه النسائي والإمام أحمد.

[٣] البخاري.

[٤] ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾ الآية 7 سورة الحجرات.

[٥] مسلم.

من فهم عن الحق تعالى، وخير من فهم كتابه العزيز، وخير من زكّى وطهّر نفوس العباد، وخير من دل الناس على ربهم. وهذا كله امتثال لنهج الرسول ﷺ في قوله " ... **وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**"[٦] .

إن هذا السند الصلبي المتين والمحفوظ من الله تعالى، يدعمه السند الروحي لثمان طرق نورانية، بدأت بالمصطفى ﷺ، وانتهت بشيخ طريقتنا، نفعنا الله به وأمد الله بعمره، يجعل مشايخ طريقتنا الأطهار في ذرى العلياء من الأولياء والصالحين، فهم نقطة الأكوان ومدار الرحى ومهوى أفئدة المؤمنين، ومحل نظر رب العالمين، الذين انفردوا بالوراثة الكاملة عن خير نبي.

ويزيد من صلابة ومتانة مشايخنا قدست أسرارهم، أنهم حفدة سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، بسبب نسبة الرسول ﷺ إلى سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، وبذلك فقد جمعوا الخير والطهر من أطرافه كافة، بل واستأثروا بسنامه، ومنحوه أتباعهم ومحبيهم، لأنهم

---

[٦] "قال زهير : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثني أبو حيان ، حدثني يزيد بن حيان ، قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه ، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي". مسلم.

أهل الجود والعطف والكرم. ولأن أعمال الحج والعمرة تربط أمتنا ورسالة الإسلام بالخليل عليه الصلاة والسلام، فكذلك مشايخنا آل بيت نبينا هم سادة الحرم وأهله وعماده وحملة سره وملوك دروبه، يكمل الحج، وتكمل العمرة، ويحصل القبول عند الله تعالى بجاههم وبسببهم، لذلك يقول حضرة سيدنا عبد الرحمن الكبير قدست أسراره ورزقنا الله رضاه:

يا رب بالسيد الهادي البشير كذا بآله الغر من هم سادة الحرم

وفي هذا المقام نتذكر خطبة سيدنا الكريم ابن الكريم زين العابدين ﵁: (أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا ...).

فتمسكنا نحن أتباع الطريقة بمشايخنا وآل بيت نبينا والعترة الطاهرة، هو تمسك بالدين وبنهجه كما أراده تعالى لنا، وركوب لسفينة النجاة إن شاء الله في الآخرة، وسعادة لا تعدلها سعادة، لأنه تمسك بالطاهرين المطهِّرين، فهم أصل الطهارة والصفاء كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾[7]. ومعلوم أن المسلم لا يستطيع التطهر من الإثم الظاهر أو الباطن دون الاستعانة والاتباع لآل البيت المطهرين الأطهار؛ ولا يستطيع المسلم فهم الدين والتزامه دون اتباع هؤلاء الورثة النورانيين. فكان شعورنا بهذا الانتساب لهم ومحبتهم، هو شعور الآمن السعيد المطمئن. من هنا فهمنا وصية رسول الله ﷺ للأمة: "**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل**

[7] ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ الآية 33 سورة الأحزاب.

بيته، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه."[٨] وجعلناه دستورنا ومنهج حياتنا.

وقد اجتمع هذا الخير كله في طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية، حتى صار مشايخها، بسندهم الصلبي والروحي، درة وضّاءة في كل عصر ومصر، إلى زماننا هذا. وصار الجد والاجتهاد والحميّة لدين الله ديدنهم، وصار بذل الوقت والجهد والمال والنفس لإنقاذ أتباعهم ومحبيهم شغلهم الشاغل، حتى عمّ خيرهم البلاد والعباد، وفاءت إلى أقدامهم قلوب المتلهفين المتعبين، وارتاحت في جنباتهم مشاكل البعيد والقريب، وحمى الله بهم دينه، وحفظه الله بهم وبسببهم، حتى وصل إلينا نقيا صافيا كاملا نابضا بالحياة ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾[٩].

ومما نلاحظه على إخواننا أتباع هذه الطريقة، أن حب رسول الله ﷺ، وحب آل بيته يأخذ بألبابهم، وأن سيرة الرسول ﷺ وسيرة آل بيته وسيرة الصالحين ورجال السند العظام رضي الله عنهم أجمعين، تتألق في شغاف قلوبهم، وتأسر عليهم روحهم وأنفاسهم. ويبتعد إخواننا أتباع هذه الطريقة عن اهتمامات الناس ودنياهم ومشاغلهم، لينهمكوا في حب الله والسير إليه، وفي همّ الآخرة والتزود لها. ونرى في زاويتنا الحبيبة أن الهمّ والكرب على ما يصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، هو الشغل الشاغل والمقلق لمشايخ طريقتنا، حتى إن ختام الورد اليومي لنا هو الدعاء لله والرجاء من الله أن يلطف بهذه الأمة ويفرج عنها ما ينزل بها من بلاء، وأن يرحمها وينصرها على عدوها.

---

[٨] الديلمي.

[٩] الآية 9 سورة الحجر.

ومما أضافه حضرة سيدنا، نفعنا الله به، على اهتماماته ومشاغله الكثيرة، اهتمامه بالأيتام، وتخصيصه مثابة ومأوى لهم في زاويته، وصرفه الوقت الطويل معهم ولهم؛ حتى يخفف عنهم يتمهم، ويرسم البسمة على وجه كل طفل منهم. ونلاحظ أنه يعطيهم أكثر بكثير مما يعطيه الأب لأبنائه عادة. وهذه الرحمة خصّه الله بها – حفظه الله — دون سواه من مشايخ طريقتنا الأفاضل قدست أسرارهم، ومنحنا الله رضاهم. وفي زماننا حيث تزينت الدنيا، وتمكن الشيطان من النفوس، وكثرت الأهواء والفتن، نراه ﷺ يرفع همة السالكين حوله، ويسير بهم إلى تلال النجاة والأمان، بهمة العارف الرباني العظيم.

وقد تنوعت اهتمامات حضرة سيدنا في السنوات الأخيرة، فأسس حفظه الله جمعية دار الإيمان للاهتمام بالفقراء وتلبية بعض من احتياجاتهم من التموين والكساء والإطعام. وأسس داراً للقرآن للجنسين تعنى بتعليم أتباعه ومريديه ورواد الدار أحكام التلاوة وبعضاً من علوم القرآن. وبادر إلى تأسيس مركز ثقافي للمحاضرات والندوات والاحتفالات، فتنوعت وتعددت نشاطات هذا المركز، وعمّت فوائده شرائح كبيرة من أتباعه ومحبيه.

وقد تركز جهد حضرة سيدنا مؤخراً على إنشاء المدارس النموذجية لإخراج أجيال من النخبة تحمل العقيدة السليمة والخلق الرفيع والعلم السديد القائم على البحث والمشاركة الفاعلة بين الطالب ومُدرّسِه، لاكتشاف الطاقات العلمية وللمشاركة في الجهد الحضاري الكوني.

ونلاحظ حجم الإمداد النوراني من شيخ طريقتنا، نفعنا الله به، كبير ومتميز. وشعورنا جميعا أن حضرة سيدنا الحبيب هو قرة عين سيدنا رسول الله ﷺ بما حباه الله تعالى من التقى والصلاح، واجتماع حزمة الأنوار المحمدية لثمان طرق صوفية عند أعتابه. كل ذلك جعله قبلة الأرواح والأفئدة، والوارث الكبير لهذا الزخم المحمدي عبر السنين والرجال.

فنحمد الله تعالى أن جعلنا من أتباع هذا الوارث العظيم وخدامه وجلسائه وعند أعتابه، وأعاننا على الاقتداء به كي ننال الرضا والقبول عند الله تعالى.

أبناء الطريقة

الخلوتية الجامعة الرحمانية

(زوايا الأشراف)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

أحمدك اللهم على نعمك وآلائك، وأطلب القرب والرضا من جلالك، وأستجير من سخطك وعذابك وغضبك، وأصلي وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ﷺ، وعلى إخوانه النبيين، وآله الأطهار المكرمين، وصحبه الطيبين الصادقين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. وبعد...

فهذه دلالة نورانية، جمعتها بتوفيق الله، أشكره تعالى أن وفقني لذلك، جمعتها مما تعلمته من أشياخي وأساتذتي، ومما قرأته عن أهل الشريعة والحقيقة، الذين نوَّر الله بصائرهم، فكانوا بعلمهم عاملين، ولرضى الرحمن آملين.

ولست أنسب لنفسي علم ما أقدرني ربي على جمعه، إنما كان ذلك مما وقعتُ عليه من علوم أهل الله تعالى بالتلقي والقراءة، أقدمه لأحبائي وإخواني، في طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية، بناء على طلبهم، على شكل أسئلة كثر ترادها ودعت الحاجة للإجابة عليها، عسى الله أن يرفعني وإياهم ببركة أوليائه وعلومهم وأحوالهم، إنه على ما يشاء قدير.

حسني حسن الشريف

دار الإيمان

(زاوية الأشراف)

بيادر وادي السير، عمّان، الأردن.

12 جمادى الأولى، 1419 هـ، الموافق 3 أيلول، 1998م

الباب الأول: مفهوم التصوف

سؤال (1): ما هو التصوف؟

جواب (1): سُئل الجنيد[١٠] عن التصوف فقال: (هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة)، وقال الجنيد: (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح). وخلاصة الأمر الذي نحن عليه هو ما قاله القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على هامش الرسالة القشيرية (التصوف علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن، لنيل السعادة الأبدية) ، فهو عندنا تزكية للقلب، لحفظ لطيفته، كحفظ الطب للأبدان، حتى يبقى القلب دائما محلاً طاهراً لنظر الله عز وجل.

سؤال (2): من أين اشتق لفظ التصوف؟

جواب (2): لقد قيل في اشتقاق لفظ التصوف الكثير، فمنهم من قال بأنه من صُفّة المسجد النبوي، حيث كانت ملاذاً لفقراء المسلمين الذين خرج بعضهم من مكة مهاجراً تاركاً المال والعيال والعبيد والإماء والديار والعقار، فلما هاجروا خرجوا عن ذلك كله وتركوه لله، وانتقلوا إلى المدينة دون أي حظ من حظوظ الدنيا، فبنى لهم الرسول ﷺ الصُفّة في طرف مسجده، يصلّون في الليل ويصومون ما قدر لهم من النوافل في النهار، وعند الجهاد فرسان في النهار رهبان في الليل، فاستشهد منهم في غزوات الرسول ﷺ من استشهد، وهم الذين قال

[١٠] سيد الطائفة، وإمام أهل عصره. عاش في زمن الخلافة العباسية ، ولد في بغداد ، وتربى عند خاله السري السقطي.

فيهم الحق تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ...﴾[11]، ومنهم: أبو ذر الغفاري، وأبو عبيدة، ومعاذ، وأبو الدرداء، رضي الله عنهم، وغيرهم لا يحصى ممن جعل التقوى أساس العلم ﴿...وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[12].

ومنهم من قال إن التصوف من الصوفة. لأن الصوفي مع خالقه كالصوفة المطروحة ، لا فعل لها ولا تدبير؛ لأنه مستسلم لله في حركاته وسكناته. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[13]

ومنهم من قال إنه من الصفاء المحمود، وضده الكدورة المذمومة. روى الدارقطني عن جابر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال: "**ذهب صفو الدنيا وبقي الكدر، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم**".

أما نسبته إلى "سوفيا"، فيقول زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي: (إن هذا ضربٌ من الإغراب، وكلمة "سوفيا" اليونانية معناها الحكمة، ومنها "فيلسوف" أي محب الحكمة،

---

[11] ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ الآية 28 سورة الكهف.

[12] من الآية 282 سورة البقرة.

[13] الآية 65 سورة النساء.

وكان كثير من فلاسفتهم أطباء، وقد ترجمها العرب فسموا الطب حكمة. وكلمة حكيم لا تزال تؤدي معنى كلمة طبيب. والفلسفة نفسها سماها العرب "الحكمة"، فهم عرفوا من "سوفيا" الفلسفة والطب، أما الحكمة الروحانية فمن البعيد أن يكونوا لحوها، لأنهم كانوا يرون اليونان من عبدة الأوثان. فلم يبق إلا أن يكون ورودها في البيروني من الإغراب) . وهذا يعني بأنه لا علاقة بين الفلسفة والتصوف، بمفهومه الذي نتحدث عنه.

وقيل أن لفظ التصوف مشتق من لبس الصوف، من حيث أنه كان لباس كثير من الزهاد والصالحين لخشونته وارتباطه بالحياة البعيدة عن الترف وحب الدنيا. وهذا التعريف هو الذي انتهى إليه أكثر المحققين من الذين صنفوا حول التصوف في الشرق والغرب.

وجملة القول أن أهل هذا الطريق أشهر وأسمى من أن يُحتاج في التعرف عليهم إلى لفظ مشتق أو قياس على هذا اللفظ، فالسالك لا يهمه الاسم الذي يطلق عليه مهما كان، طالما أنه مع الله و إلى الله في عمله وقصده، وإنما همّه ومبتغاه أن يكون مع خالقه بلا غرض ولا مطلب ولا تحقيق شهوة دنيوية؛ اللهم إلا علاقة الشكر الدائم الذي لا ينقطع، والشعور بالقصور، والشعور بالقرب بعد كدورة البعد ﴿... ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ...﴾[١٤] .

وسواء سمي السالك صوفياً، أو أي اسم آخر، فهذا ليس بالأمر المهم، فنحن لا نهتم بالألفاظ والمسميات بقدر ما نهتم بالحقائق والمبادئ، فإذا ذكر أمامنا لفظ الصوفي أو التصوف، تبادرت إلى أذهاننا معاني تزكية النفوس، وصفاء القلوب، والسعي حثيثاً لإصلاحها، وصولاً إلى مرتبة الإحسان التي هي مقام كل العارفين الربانيين، الذين تحققوا من معنى حديث

---

[١٤] ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ الآية 13 سورة سبأ

رسول الله ﷺ في تفسير الإحسان "**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[١٥].
فهذه الحقائق سميت في القرن الثاني للهجرة "تصوفاً"، ولنا أن نسميه الآن: «الجانب الروحي في الإسلام» أو «أخلاق الإسلام» أو «التحقق من معاني الإحسان» أو أي اسم يتفق مع معاني شريعتنا الغراء وما جاء به الكتاب والسنة، وهما مصدر التصوف وحقيقته.

أما إنكار بعض الناس على هذا اللفظ "التصوف" بأنه لم يُسمع في عهد الصحابة والتابعين فهو مردود جملةً وتفصيلاً، لأن معظم الاصطلاحات أُحدثت بعد زمن الرسول ﷺ والصحابة، واستعملها جيل الصحابة والتابعين، ولم تُنكر من كبار الصحابة وأئمة التابعين، كألفاظ التابعين، وتابعي التابعين، وأمير المؤمنين، وألفاظ النحو والفقه والمنطق والدواوين وعلوم القرآن والتفاسير وعلوم الحديث والجرح والتعديل، كل هذه الاصطلاحات لم تكن تستعمل زمن رسول الله ﷺ، واستعملت فيما بعد ولم تنكر. وسنتعرض لهذا الأمر في حديثنا عن مفهومنا للسنة والبدعة.

[١٥] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فاسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** . قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. مسلم.

<u>سؤال (3): بعنوان (الصوفية في صدر الإسلام)</u> . لماذا لم تنتشر الدعوة إلى التصوف في صدر الإسلام، ولماذا لم تظهر إلا بعد عهد الصحابة والتابعين، وهل جاءت بجديد أم هي امتداد لدعوة الإسلام؟

جواب (3): لم تكن هناك حاجة إلى هذه الدعوة زمن رسول الله ﷺ، لأن الصحابة كانوا بسبب قربهم من الرسول ﷺ، أهل ورعٍ وتقوى، وكان الرسول ﷺ هو المرشد والمزكي والمربي، فليست هناك حاجة لتلقينهم علوماً ترشدهم إلى أمور، هم قائمون عليها، وهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى بها. فالرجال الذين سبقوا التسمية باسم (الصوفية) من الصحابة والتابعين، وإن لم يَتَسَمَّوا بالصوفية، كانوا في حقيقة الأمر صوفيين، ولا يهمنا الاسم بقدر الجوهر والحقيقة. وإلا فما هي الصوفية إن لم تكن تعني أخلاق الصحابة والتابعين، الذين هم خير من أقبل على الله بالقلب والروح في السر والعلن، في السراء والضراء، وهم الذين قاموا بفرائض الإسلام وعقائد الإيمان، وتحققوا من مرتبة الإحسان، فاستنارت بصائرهم، وهم الذين تربوا على يدي مرشد البشر وسيد الأنبياء ﷺ!.

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"خيرُ الناسِ قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال: ثم يَتَخَلَّفُ من بَعْدِهِم خَلفٌ تَسْبِقُ شهادةُ أحدهم يمينَه ويمينُه شهادتَه"**.[١٦]

ثم تقادم العهد واتسعت العلوم ، ودوّنت علوم التوحيد والحديث والفقه والتفسير والمنطق والأُصول وغيرها من العلوم، والتي بانتشارها واهتمام الناس بها وانفتاحهم على خيرات الدنيا وزينتها، أخذ الجانب الروحي يتضاءل، مما دعا أهل الألباب والزهد لتدوين علوم الإحسان، التي هي علوم التصوف. ولا يُفهم من هذا أن ذلك كان احتجاجاً على العلوم الأخرى كما

[١٦] البخاري ومسلم.

يُظن، مثلما كان بعض أهل الكلام يحتجون على أهل الحديث، إنما هو استكمال لحلقة الإسلام الذي عني بالمادة والروح والجسد والقلب. قال الشيخ زرّوق [١٧]: (نسبة التصوف في الدين نسبة الروح من الجسد، وإن هذا العلم لا يؤخذ من الأوراق ، وإنما يؤخذ من أهل الأذواق، ولا يُنال بالقيل والقال، وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال. وكما قالوا: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح).

وهذا ابن خلدون يقول في مقدمته: (وهذا العلم «التصوف» من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، هي طريقة الحق والهداية؛ وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذةٍ ومالٍ وجاهٍ، والانفراد عن الخلق، والخلوة للعبادة. وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختُصَّ المقبلون على العبادة باسم الصوفية).

وفي فتوى للإمام الحافظ السيد محمد صديق الغماري رحمه الله ، لما سُئِلَ عن أول من أسس التصوف أجاب: (أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي، في جملة ما أسس من الدين الإسلامي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي ﷺ بعدما بيَّنها واحداً واحداً ديناً بقوله في حديث

---

[١٧] هو الشيخ أحمد الفاسي المعروف بزرّوق، (846 هـ – 899 هـ) الفقيه المالكي المعروف.صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، ومن أهم من اعتنى بجانب التربية والسلوك في الكتابات الإسلامية. رحل زرّوق إلى مصر والتقى مع الشيخ أبي العباس الحضرمي، وأخذ عنه الطريقة وصار شيخه في السلوك وانتسب إليه ولازمه. واشتغل في مصر بعلوم اللغة العربية وأصول الفقه، فدرس على الجوجري وغيره من العلماء، وقرأ بلوغ المرام ودرس علم الاصطلاح على الحافظ السخاوي وتأثر به.

مسلم في كتاب الإيمان عن عمر بن الخطاب: "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم" فالإسلام طاعة وعبادة، والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "، وهذه هي الصوفية، فمن أخلّ بهذا المقام (الإحسان)، الذي هو الطريقة ، فدينه ناقص بلا شك، لتركِه ركناً من أركانه . فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان) اهـ.

سؤال (4): بعنوان (علاقة التصوف بالأديان الأخرى) . يُتَّهم التصوف من بعض الجهلة وأدعياءِ العلم بأنه مستقى من أصول غير إسلامية كالفارسية والهندوسية والبرهمية، كما أَطلق بعض أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم اسم التصوف على الرهبنة والبوذية والكهانة النصرانية والشعوذة الهندية، فقالوا هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي؛ أين التصوف من كل هذا، وأين هو من الشرع الإسلامي؟

جواب (4): إن علم التصوف مستمد من الكتاب والسنة النبوية جملةً وتفصيلاً . ومما سبق من نصوص ، يتبين لنا أن التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً، ولكنه مأخوذ من الكتاب والسنة وحياة الصحابة الكرام، ومن إلهامات الصالحين الربانيين وفتوحات العارفين الصديقين. وعلى القارئ إذا أراد أن يتبحّر في ذلك أن يعود إلى كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وأن يقرأ في أربعة كتب منه وهي: «كتاب العبادات» و «كتاب العادات» و «كتاب المهلكات» و «كتاب المنجيات»، ليعرف السالك أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام ، وأنه يستمد فكره من الكتاب والسنة، وأنه ليس هناك فعلاً إلا التصوف الإسلامي فقط. وإنما أُريدَ بتلك التهم تشويه اسم التصوف باتهامه بأنه يرجع في نشأته إلى تلك الأصول القديمة والفلسفات الضالة، ومن ثَمّ إبعاد المسلمين عن حقيقة وجوهر وروح دينهم، حتى يكونوا مجردين من الروح والخلق، حافظين لنصوص دينهم دون عمل وفهم وتذوق.

إن مصدر علوم التصوف هو الرسول ﷺ، وهو أفضل الخلق بالإجماع. وقد جاءت هذه العلوم لتحقيق الكمالات علماً وعملاً وحالاً، ولتكميل العقائد وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق، وهذه رسالته ﷺ.

أما ثبوت شرف التصوف، فلا شك أن الكتاب والسنة وإجماع الأئمة وردت بمدح جزئيات التصوف ودعائمه، كالتوبة والتقوى والإحسان والاستقامة والصدق والإخلاص والطمأنينة والزهد والورع والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والمراقبة والصبر والشكر وغير ذلك من المسائل. وهذه ليست جديد ة ولا مبتدعة، وليست قديمة من فلسفات الفرس والهندوس وغيرها، إنما هي من شرع الله الذي وصّى به الأنبياء، قال تعالى ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[18]. وما ربطنا بها إلا حبنا لله عز وجل وحبنا لرسول الله ﷺ.

فالصوفية أتبع الناس وأكثرهم اقتداءً برسول الله ﷺ، ودلّ ذلك على أنهم أحب الخلق إلى الله. قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾[19]، وروى البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **"لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"**[20]. وعلامة المحبة الاتّباع.

[18] الآية 13 سورة الشورى.

[19] الآية 31 سورة آل عمران.

[20] البخاري.

أما حكم الشرع في التصوف فقد قال الغزالي: (إنه فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب إلا الأنبياء عليهم السلام) ، على اعتبار أن التصوف هو المدخل إلى تزكية الأنفس. وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله[٢١]: (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مُصِرّاً على الكبائر من حيث لا يشعر ولا يدري، وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عُرف بالتربية والإرشاد واشتهر الدواء على يده).

قال أحد العارفين يُعرّفنا مقامَ السالكين: (الناس ثلاثة، عالم وعابد وعارف صوفي، وكلهم أخذوا حظاً من الوراثة المحمدية، فالعالم ورث أقوال الرسول ﷺ تعلماً وتعليماً بشرط إخلاصه، وإلا خرج من الوراثة بالكلية، إذ الأعمال بلا إخلاص أشباح بلا أرواح، فمن ورث عن أبيه جارية ميتة فليس بوارث. والعابد ورث أفعال النبي ﷺ من قيام وصيام ومجاهدة ظاهرة. فقد قام ﷺ حتى تورّمت قدماه، وكان يصوم كثيرا ويفطر. والصوفي العارف ورث الجميع، فأخذ في بدايته ما يحتاج إليه من العلم، وقد يتبحّر فيه ، ثم ينتقل إلى العمل على أكمل حال، ثم زاد عليهما بوراثة الأخلاق التي كان عليها باطنه ﷺ من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحِلم وكرم وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة وغير ذلك).

ويؤكد شيخنا وسيدنا عبد الرحمن الشريف في رسائله التي تضمنت نظرته النقية الواضحة للتصوف، يؤكد على قول القائل: (من تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق ، ومن تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق، ومن تفقّه وتصوّف فقد تحقّق). ويقول ﵁: (إن الشريعة أقوال، والطريقة أفعال، والحقيقة أنوار، والمعرفة أسرار. فالشريعة القشر الظاهر، والطريقة اللّب الفاخر، والحقيقة الذهن الذي لا يُدرَك إلا بالذوق، والمعرفة هي اللذة المعجلة لأهل الحب فيه والشوق. فلا وصول إلى

[٢١] هو الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي، الزاهد الصوفي. إليه تنتسب الطريقة الشاذلية، سكن الإسكندرية، ولد 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية، تفقه وتصوف في تونس، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها.

اللُّب إلا بعد الإحاطة بالقشر، وهي أوامر الشريعة ونواهيها. ولا ذوق إلا لمن سهر بالذكر والفكر).

سؤال (5): ما هي ضرورة التصوف بالنسبة للمسلم؟

جواب (5): إن التصوف هو المظهر المعنوي الروحي للإسلام، فإذا بحثنا عن الصفاء والاندفاع والحرارة في العاطفة الإسلامية وجدناها عند الصوفية. ومن أحب أن يعرف شيئا عن الحب الإلهي وسمو رفعة الصلة الروحية بين المسلم وخالقه فليصحب القوم السالكين، ويتدبر أقوالهم وأحوالهم، ليتبين له أن التعليم والاصطلاحات التي سميت تصوفا هي حقيقة وجوهر وروح الإسلام ، وبها نمت العاطفة الدينية والحياة الروحية عند المسلمين. وبهذه الروح التي تغلغلت في حياة المسلمين وعقائدهم وعبادتهم ومعاملاتهم انتشر الإسلام في إفريقي ا والهند والصين وإندونيسيا ودول المغرب العربي. وذلك بحسن سيرة أولئك الأعلام من مشايخ الطرق وتأسِّيهم برسول الله ﷺ.

إن الأعمال التي يقوم بها المسلم نوعان: جسمية وقلبية، الجسمية منها تقوم على الأوامر والنواهي كالأمر بالصلاة والزكاة والحج، والنواهي كالنهي عن السرقة أو القتل أو الزنى.
والأعمال القلبية تقوم أيضا على أوامر ونواه، فالأوامر كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله... الخ، والنواهي تنهى عن الكفر والنفاق والحسد والحقد والغرور والكبر والعجب والشح والبخل.

وهذا القسم الذي يتعلق بالقلب هو مدار بحثنا، إذ أن عليه مدار الأمر، رغم أهمية الكل، لأن الباطن أساس الظاهر، وفي فساده إفساد للأعمال الظاهرة، ولهذا كان رسول الله ﷺ يركز اهتمامه على إصلاح قلوب أصحابه ، وأن صلاح الإنسان بصلاح قلبه ، ولا أعني الجسم الصنوبري الذي يعالجه الأطباء، إنما أعني اللطيفة الروحانية المتعلقة به، وهي التي عناها رسول الله ﷺ فيما رواه النعمان بن بشير: **"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ**

كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ "[٢٢]. فعلى المرء أن يُعنى بإصلاح قلبه وتخليته من الصفات المذمومة التي نهي عنها، طالما أن صلاحه منوط بصلاح قلبه. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾**﴾[٢٣]. وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**"[٢٤].

إن أهمية التصوف الإسلامي تنبع من تنقية القلب من الشوائب وتهذيب النفس وتخليصها من الآفات. ولذلك قال العلماء إن التخلص من كل هذه الآفات هو فرض عين؛ بدليل ما ورد في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿...**وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**... ﴿١٥١﴾﴾[٢٥]. ويأمرنا تعالى في آية أخرى بترك الفواحش الظاهرة والباطنة، بقوله تعالى: ﴿**وَذَرُواْ ظَاهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ**

---

[٢٢] الحديث: حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ . **أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**. البخاري.

[٢٣] الآية 88 و 89 سورة الشعراء.

[٢٤] مسلم.

[٢٥] ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ الآية 151 سورة الأنعام.

﴿يَقۡتَرِفُونَ ١٢٠﴾[٢٦]، فالفواحش الظاهرة كالقتل والزنى والسكر والسرقة، أما الباطنة فهي كالحقد والحسد والشح والبخل والنفاق وغيرها من آفات النفس المتعددة.

وإذا تأملنا معنى الآية الكريمة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾[٢٧]، وجدنا في معناها أنه ليس لكل إنسان قلب، لأن الآية تعني اللطيفة اللطيفة المتعلقة، لا العضلة. واللطيفة المتعلقة لا يمكن أن تكون في قلب ممتلئ بالحقد والرياء والنفاق والحسد والشح والبخل، فكل هذه الآفات وغيرها مما يُعنى التصوف بزوال وجودها من تلك اللطيفة.

أما إذا استعرضنا أحاديث رسول الله ﷺ فنجد كثيراً منها ينهى عن هذه الآفات التي تحول دون حال التزكية التي يحرص التصوف عليها، كآفات الحقد والرياء والشح والكبر والغش والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبطر والخيلاء والخيانة والمداهنة والمكر والخديعة والقسوة وطول الأمل وغير ذلك. ونجد كثيراً من الأحاديث التي تأمر بالتحلي بالأخلاق والمثل العليا والمعاملة الطيبة، كخلق التواضع والتناصح والصبر واحتمال الأذى وخدمة الإخوان ومحبتهم والكرم والحب والشكر وخفض الجناح واللين والعفو، وغير ذلك. هذه الأخلاق جزء من ثمرة السلوك في طريق القوم.

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **"الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان "**[٢٨]. وهذه الأخلاق هي أيضاً جزء من درجات الإيمان. يقول صاحب مراقي الفلاح: (لا تنفع الطهارة

---

[٢٦] الآية 120 سورة الأنعام.

[٢٧] الآية 37 سورة ق.

[٢٨] مسلم.

الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة بالإخلاص والنزاهة عن الغل والغش والحقد والحسد وتطهير النفس عما سوى الله، فيعبده لذاته لا لعلةٍ، مفتقراً إليه، وهو يتفضل عليه بالمنّ بقضاء حوائجه المضطر بها عطفاً عليه، فتكون عبداً فرداً للمالك ا لأحد الفرد، لا يسترقّك شيء من الأشياء سواه، ولا يستملكك هواك عن خدمتك إياه).

ولكي ندرك أهمية التصوف نقول بأن الإنسان يسعى دوماً إلى أن يظهر على الملأ بصورة لائقة من حيث جمال ملبسه ومظهره، وأناقة لبس أولاده ، وفخامة ركوبته ومحيطه، كل هذا مما يكلّف الشيء الكثير من المال ينفقه الإنسان حتى يظهر في عيون الناس بصور ة حسنة ولائقة لأنه محل نظرهم، فلا حرج في ذلك. لكن أيجوز له أن يزين محل نظر الناس، وهو الظاهر، ويترك محل نظر رب الناس وهو الباطن، ملطَّخاً بكل الآفات التي ذكرناها ؟ أليس هذا قصوراً في النظر وضرباً من ضروب طمس البصيرة والجرأة على الله!؟

إن التصوف وأهله هم الذين اعتنوا بتصحيح هذه الآفات ونقلها من حال السوء والبشاعة إلى حال الحسن والجمال، وتزكية النفس من كل الصفات الناقصة، وهو الذي يكشف آفات الرجال الذين يظنون بأنفسهم الكمال، ويسعى لتقويمها وتعريف صاحبها بها، حتى ينجلي القلب ويسير في طريق الله في صدق ووفاء، ويزرع فيه كل خصال الخير التي حثّنا ديننا عليها وأمر أن نزيّن بها بواطننا.

إن التصوف ليس كما يظن البعض مجرد أوراد تقرأ، وتسابيح تردد، بل هو بالإضافة إلى ذلك، المنهج الإسلامي العلمي الذي يرقى بالسالك حينما يملك الأشياء ولا تملكه، والتطبيق العملي لكل الفرائض والعبادات، إنه أركان الإسلام الخمسة ، ثم أركان الإيمان الستة ، ثم أركان الطريق السبعة التي سيأتي ذكرها. فهو روح الإسلام ، والطريق العملي إلى درجات الكمال

الإيماني، وهو أيضاً الخلق السويّ "**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**"[٢٩]، فالتصوف هو تمام مكارم الأخلاق، إضافة إلى تطبيق أوامر الشرع والبعد عن نواهيه. وما وصل المسلمون إلى هذه الحالة من التحلل والتخاذل والتفكك وذهاب القيم الروحية والأخلاقية والتكالب على الدنيا ومتاعها إلا حين تنادوا بالنصوص دون العمل، وبالعقل دون القلب، وبالجسم دون الروح، وبالظاهر دون الجوهر، وبالقشر دون اللب، فكان ما كان. ولهذا فإني أنصح إخواني بالتزام المنهج العملي للتصوف الذي سيأتي ذكره، وبالجمع دوماً بين نصوص الإسلام وتطبيقها، وبين مادة الإسلام وروحه، حتى يعود للأمر صفاؤه وجلاؤه ويقينه وروحه وذوقه. وأنصحهم بالصبر والمصابرة والجلَد والجد في طريق القوم، لأن طريقهم ليس سهلاً على النفس، ولأن سلعة الله غالية ومهرها ثمين، فلا بد من دفع الثمن. قال رسول الله ﷺ: "**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ**".[٣٠]

قال الفُضيل بن عياض رحمه الله[٣١]: (عليك بطريق القوم، ولا تستوحش لقلة السالكين، وإياك وطريق الباطل، ولا تغتر بكثرة الهالكين، وكلما استوحشت من تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عن سواهم، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك) ويعني بهؤلاء المشككين بطريق القوم، القاطعين الصادين عن سبيل الله.

[٢٩] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ"، كَذَا رُوِيَ عَنِ الدَّرَاوَرْدِيِّ. السنن الكبرى للبيهقي.

[٣٠] الترمذي.

[٣١] هو أبو علي التميمي، شيخ الحرم، ولد بخراسان عام 105 هجرية، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابداً كثير الحديث.

الباب الثاني: المفهوم الصحيح للسنة والبدعة

تمهيد

يكثر الحديث بين الحين والآخر عن خلافات تحدث في المسائل الفرعية من الدين، وفي تفسير السنة والبدعة، حتى رأينا عددا ممن ينتسبون إلى الدين، وهم من الذين أخذوا بظواهر الآيات والأحاديث، لا يرون الحق إلا معهم، ويرمون من يخالفهم بالضلال والابتداع أو الكفر والشرك، بل لا يستمعون إلا لمن كان منهم وعلى شاكلتهم، وينظرون إلى جمهور الأمة بالمنظار الأسود، فهم في نظرهم إما مبتدعة أو مشركون خارجون عن الإسلام، حتى تطاولوا على علماء المسلمين عبر التاريخ الإسلامي. والعجيب الغريب أن الذين يعملون على إثارة الخلافات في المسائل الفرعية، ويبدِّعون فيها من يخالفهم، لا نجد لهم صوتا ولا رأيا في المسائل الكبرى التي وقع فيها المسلمون، وأحيانا كانوا يقفون في فتاواهم مع أعداء الإسلام في حربهم ضد المسلمين، مع أن مواجهة خطر الأعداء فرض عين! ذلك لأن إثارة المسائل الخلافية في الفروع وفي هذا الزمن بالذات (وهي المسائل التي وسعت المسلمين وأصحاب المذاهب منذ القدم) تفرِّق ولا تجمع، مما يساعد على التناحر والتنافر والتراشق بالتهم والتبديع والتضليل، ولا مصلحة للمسلمين في ذلك.

والمقصود من حديثنا هذا أن نقول لهؤلاء ومن يقع في دائرتهم، إن واجب المسلم أن يحسن الظن بالمسلمين، فضلاً عن علماء المسلمين، لأن إثارة المسائل الفرعية التي اختلف العلماء فيها بطريقة تسيء الظن بهؤلاء المجتهدين، فيها هدم للدين، وتفرقة للأمة التي استوعبت اختلاف الأئمةِ في الفروع منذ عصورها الأولى، دون أن يفرِّق الاختلاف بينهم في

العقيدة والاحترام والتضامن والتعاطف، وكلهم ملتزمون بالدين، غيورون عليه، لا كما يظن الذين يدّعون الاجتهاد في مسائل الدين في هذا العصر ، وليس لديهم من أدوات الاجتهاد شيء إلا مجرد الادعاء. بل هم مقلدون لمن طلعوا على الأمة بآراء ينقضون فيها اجتهادات الأئمة الذين شهدت لهم الأمة على مدى يزيد عن ألف سنة بالعلم والفقه والورع والدين، وكان لهم في الأمة لسانُ صدق كالشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل ومالك وغيرهم رحمهم الله تعالى.

سؤال (1): ما هو مفهوم السنة والبدعة؟

جواب (1): لكي ندرك المفهوم الصحيح للبدعة السيئة، لا بد لنا أن نُعرِّف السُّنة لأن السنة والبدعة أمران متقابلان، فلا يتحدد أحدهما إلا بتحديد الآخر، وهذه طريقةُ رسول الله ﷺ الذي حث على السنة أولا، ثم حذر مقابلها من البدعة، وهذا حديث عند مسلم عن رسول الله ﷺ يوضح المعنى "**من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**"[٣٢].

وهناك حديث آخر يحدد المفهوم الصحيح للمعنيين ، وهو حديث جابر موقوفا على ابن مسعود: "**كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن**

---

[٣٢] مسلم.

من نفسه، من ترك مالا فلأهله، ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي "[٣٣]. وهناك مثل هذه الأحاديث، التي سنتعرف على معانيها، أحاديث أخرى تدور حولها كحديث ابن مسعود عند مسلم أيضاً "**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**"[٣٤].

فنحن نفهم من هذا أن رسول الله ﷺ قابل الْمُحْدَثَة والبدعة بالهدي النبوي، وأن هدي الرسول ﷺ هو خير الهدي، وأن البدعة السيئة إنما هي في الْمُحْدَث المناقض لهديه.

إذاً، فالبدعة هي كل ما ليس له أصل شرعي. ولكي نُثري الموضوع أكثر، نعود للسنة فنقول: ما هي السنة التي قابلها ﷺ في الحديث بالبدعة؟

يقول أهل اللغة: إن السنة في لغة العرب هي الطريقة. وفي الشرع هي هدي الرسول ﷺ وما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير. وقد استخدم ﷺ كلمة السنة بمعنى الطريقة في الحديث الصحيح المشهور الذي رواه البخاري "**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ** "[٣٥] أي طريقتهم. والله عز وجل يقول ﴿**وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦**﴾[٣٦]، والراجح في التفسير أن معنى (الطريقة) في هذه الآية الخط المستقيم في الطاعة لله عز وجل، و(غدقاً) بمعنى ماءً كثيراً ورزقاً واسعاً، وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدي والضحاك وغيرهم. فليس المراد إذ اً بالسُّنَّة لغةً ما يفهمه عامة الطلاب ، فضلاً عن العوام، أنها تعني الحديث النبوي فقط، أو ما يقابل الفريضة فقط، فسنَّة الرسول ﷺ هي أيضاً

---

[٣٣] البخاري ومسلم.

[٣٤] مسلم.

[٣٥] الحديث: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ فَمَنْ". البخاري.

[٣٦] الآية 16 سورة الجن.

طريقته في الفعل والأمر والقبول والرد. وهذا ما ورد التأكيد عليه في الحديث **"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ "**[٣٧]. إذاً فما أُحْدث من أمر لا بد من عرضه على سنة رسول الله ﷺ وطريقته في القبول والرد . فالقاعدةُ الكبرى في تفسير معنى البدعة هي حديث الرسول ﷺ الوارد عند مسلم الذي يقول **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[٣٨]، أي من أحدث في منهجنا وطريقة فهمنا ما ليس منه فهو مرفوض. وهذا هو الفقه الحقيقي للشريعة ، حيث سبقنا إليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا، ونجده متجليا في شخصية الفاروق عمر ﷺ، الذي أوقف حدّ السرقة في عام الرمادة، وهو عام الجوع الذي ضرب الجزيرة ، فلو كان الأمر مجرد نصوص تحفظ وتطبق، لكان في ذلك حرجٌ وتشديدٌ يأباه الله ورسوله. فَفِقه عمر للشرع هو الأصحُ من قول وفقه كل دعيّ جاهل.

إذاً فكل مُحْدَث يُعرض على هدي الرسول ﷺ، فإن وافقه فهو خير، سماه الرسول ﷺ في الحديث السابق سُنَّة حسنة، وإن لم يوافقه فهو شرٌ، سماه الرسول ﷺ سُنَّة سيئة. فالشرط في قبول المحدث أن يكون مستندا إلى أصل شرعي، وأن يقصد به النفع للمسلمين، لأن القاعدة الفقهية المشهورة تقول (إن أصل الأشياء الإباحة ولا تحريم إلا بنص). ولا يجوز لأحد أن يُبَدِّع مسلماً أو يُكَفِّره ما يملك دليلا شرعيا واضحا يشير إلى أن هذا المسلم ابتدع أمراً خالف هدي رسول الله ﷺ. فلو افترضنا أن مسلماً ألزم نفسه أن يصلي على رسول الله ﷺ في اليوم مائة

---

[٣٧] عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ". المستدرك على الصحيحين.

[٣٨] اللفظ كما هو عند مسلم، واللفظ عند البخاري "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".

مرة، أو أقل أو أكثر، وهذا العدد لم يرد نصاً عن رسول الله ﷺ، هل يجوز لنا أن نقول بأن هذا مبتدع؟ كلا، لأن الصلاة على رسول الله ﷺ أمرٌ من الدين، وللمسلم أن يأتي بها في الوقت والعدد الذي يشاء، والأمر ينطبق على جميع الأوراد والتسابيح والنوافل.

وقد يقول قائل إن ما أقرّه الرسول ﷺ يكون سنة بإقراره له، فنقول: نعم، ولكنه أيضا دليلٌ هادٍ إلى تَعَرُّف سنة الرسول ﷺ وطريقته في القبول والرد، وهناك أحاديث كثيرة جُلُّها في الصحيح أو من الصحاح، تبين أن عددا من الصحابة أحدثوا أعمالا وأذكارا وأدعية لم يرد أن رسول الله ﷺ فعلها أو أمر بها، ولكنهم فعلوها قياسا واستنباطا واعتقادا أنها من الخير العميم، الذي أكرمنا الله به، وجاء به نبيه ﷺ، وحث على مثله تحت قاعدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[٣٩]، وقوله ﷺ في الحديث الصحيح **"من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"**[٤٠]. وهذا الحديث و إن ورد في الصدقة فإن القاعدة الأصولية المجمع عليها أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ولا يفهم من ذلك كما يدّعي البعض بأنه استكمال للشرع وتهمةٌ له بالنقص، أو أن هذا يعني أن لكل إنسان أن يُشرّع، فإن الإسلام محدَّدُ القواعد والضوابط، فلا بد أن يكون القياس أو الاستنباط محفوظا بقواعد وضوابط الشرع الشريف.

وبهذا الفهم السوي الصحيح رأينا عددا من الصحابة يفعلون باجتهادهم أموراً لم تكن.

فكانت سنة الرسول ﷺ وطريقته قبول ما يتفق مع الشرع ولا يخالفه، وردّ ما كان مخالفاً لذلك.

---

[٣٩] الآية 77 سورة الحج.

[٤٠] مسلم.

وهذا هو الفهم الذي سار عليه الصحابة والخلفاء والتابعون، والذي اقتبس منه العلماء فيما بعد قولهم (إن ما يُحدَث يجب أن يعرض على قواعد الشرع ونصوصه، فما شهد له الشرع بالحسن فهو حسن، وما شهد له الشرع بالسوء والقبح فهو مردود)، وهو البدعة المذمومة. وقد يسمون الأول «بدعة حسنة» من حيث اللغة باعتباره محدثًا، وإلا فهو في الواقع ليس ببدعة شرعية بل هو «سنة مستنبطة» ما دامت شواهد الشريعة تشهد له بالقبول. وعلى هذا الكلام يحمل قول سيدنا عمر ﷺ – وهو الذي يفقه الشرع فقها سوياً لا حفظاً قاصراً – في صلاة التراويح (نعمت البدعة). وإليكم الأدلة الشرعية التي تؤيد ما ذكرناه ، وهي داخلة في الصلاة:

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، **"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِبِلَالٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ: يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا فِي سَاعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ"** [٤١]، قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: دَفَّ نَعْلَيْكَ يَعْنِي تَحْرِيكَ. فنلاحظ من هذا وغيره من أحاديث كثيرة بنفس المعنى أن الصحابة كانوا يجتهدون في توقيت كثير من النوافل من العبادات والأذكار وتحديد كَمِّهَا، وهذا إقرار من الرسول ﷺ لعمل طيب لم يكن، إلا أنها طريقة المصطفى ﷺ في الرد والقبول.

الحديث الثاني: ما رواه البخاري في كتاب الصلاة في باب : ربنا لك الحمد ، عن رفاعة بن رافع قال **"كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، (ولم يكن هذا قد ورد من قبل عن رسول الله ﷺ) فَلَمَّا انْصَرَفَ (أي انتهى من الصلاة)، قَالَ: مَنِ**

[٤١] البخاري.

الْمُتَكَلِّمُ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ" [٤٢]. قال الحافظ في الفتح (يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور ، وفي غير الصلاة من باب أولى إذا كان غير مخالف للمأثور. وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش). وعليه يجري الحكم على شرعية جميع الأوراد والتسابيح والأذكار التي يتقرب بها السالك إلى الله في أي وقت وعدد يشاء، وهو الأمر الذي سار عليه مشايخنا من قبل استناداً إلى هذا الفهم الشرعي لسنة رسول الله ﷺ. فانظر يا أخي كيف يقرر رسول الله ﷺ زيادة ذكر لم يؤثَر عنه في الاعتدال (وغيره كما في أحاديث كثيرة) ، وأقر فاعلَه بأعلى درجات الإقرار والرضى، لأن الفعل الذي حصل هو من جنس المأثور، وما كان كذلك فهو من السنَّة، وإن كان غير وارد بلفظه. وهذا موضع الاستدلال، لأنه ﷺ أقرَّه رغم أنه اجتهاد واستنباط من أحد الصحابة.

الحديث الثالث : ما رواه البخاري في باب الجمع بين السورتين في الركعة من كتاب الصلاة عن أنس رضي الله عنه **"كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يُقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ. وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ"**[٤٣]. قال ناصر الدين بن المنير في هذا الحديث (إن المقاصد تغير أحكام الفعل، لأن

---

[٤٢] البخاري.

[٤٣] البخاري.

الرجل لو قال: إن الحامل على إعادتها أنه لم يحفظ غيرها مثلا، لأمكن أن يأمره بحفظ غيرها، لكنه اعتل بحبِّها، فظهر صحة قصده فصوَّبه. قال: وفيه دليل على جواز تخصيص بعض القرآن والاستكثار منه).

وهذا ما عهدناه عن مشايخنا في ورد القرآن الليلي الذي نقرأه كل يوم، ولا يعد ذلك هجرانا لغيره، بدليل هذا التقرير من الرسول ﷺ وتبشيره لهذا الرجل بالجنة. علماً بأننا لم نجد من العلماء ولا من الصحابة قبلهم من يقول بأن فعل هذا الصحابي سنَّة ثابتة، ذلك لأنَّ ما واظب عليه ﷺ هو الذي تنبغي المحافظة عليه. ولكنه يعطينا الدليل على أنَّ مثل هذا ، وإن كان في صورته مخالفاً لفعل الرسول ﷺ في الجملة، فإن الأمر واسع، لا كما يظن المبدِّعون، ما دام الفعل في إطار المشروع والمطلوب. وهذه الأحاديث جلُّها كان في الصلاة، وهي أهم أعمال العبادات البدنية [كما قال القاضي الحضرمي] ، وفيها قول الرسول ﷺ **"صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي"**[٤٤]. ومع ذلك فإنه ﷺ قَبِل هذه الاجتهادات، لأنها لا تخرج عن الهيئة التي حددها الشارع، فكل حدٍ لا بد من الالتزام به، وما عدا ذلك فالأمر متسعٌ، ما دام داخلا في الأصل المطلوب. هذه هي سنة الرسول ﷺ وطريقته، وهذا في غاية الوضوح. ويُؤخذ منها ما قرره العلماء أن كل عمل يشهد له الشرع من الطلب ولم يصادم نصاً ولا تترتب عليه مفسدة فليس داخلا في حدود البدعة، بل هو من السنة، وإن كان غيره أفضل. فالعبادات تتفاوت في الرتبة ولا يعاب ولا يُبَدَّع من استروح شيئاً منها ما دام الأصل عبادة.

---

[٤٤] الحديث: عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا ، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا ، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ، فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ. البخاري.

وفي الأحاديث التالية اجتهادات أقرها ﷺ في غير الصلاة، منها:

الحديث الأول: حديث الرُّقية، وقد رواه البخاري في أكثر من موضع من صحيحه، وهذا نصه في باب النفث في الرقية "**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ، فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ، اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**"[٤٥]. ويظهر هنا جلياً فهم هذا الصحابي السليم لدينه، إذ يظهر واضحا بأنه لم يكن عنده علمٌ متقدمٌ بمشروعية الرَّقي بالفاتحة، ولكنه شيء فعله باجتهاده، ولما لم يكن فيه مخالفة للمشروع أقره ﷺ، لأن هذه سنته وطريقته في إقرار ما كان من الخير، ولا تترتب عليه مفسد ة، وإن لم يكن من عمل الرسول ﷺ نصاً. وقول الرسول ﷺ (قد أصبتم، اقسموا واضربوا لي معكم بسهم) كأنه أراد المبالغة في تأنيسهم ، كما قال الحافظ.

[٤٥] البخاري.

الحديث الثاني: عن أبي سعيد الخدري **"أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"**[٤٦].

الحديث الثالث: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ , **أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِد, فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي, يَدْعُو يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إلا أَنْتَ, الأَحَدُ الصَّمَدُ, الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ, وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ, لَقَدْ سَأَلَهُ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى, وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ"** [٤٧]. فنلاحظ بأن هذا الدعاء من إنشاء الصحابي، ولما كان مطابقا للمطلوب، وكان من صُلب الأمر لا بخلافه، على قاعدة **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "**[٤٨]، والصمدية منه، لذلك أقره ﷺ بأعلى درجات الإقرار والرضا.

هذه القواعد لو عرفها الْمُبدِّعون، لما أطلقوا ألسنتهم بالتبديع على أي من أنواع الخير، ولما أطلقوا لأقلامهم العنان في اتهام الأئمة الأعلام. وقد يقول قائل بأن هذه الأدلة الشرعية كانت زمن الرسول ﷺ، وهي مما أقره، وقد دخلت في إطار السنة. فيجيب على هذا السؤال الإمام الشافعي رحمه الله حين يقول (البدعة بدعتان، محمودة ومذمومة، فما وافق السُّنة فهو محمود، وما خالفها فهو مذموم)، فهل الشافعي ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، حقيق بهذا القذف والتبديع والتشنيع!؟

---

[٤٦] البخاري.

[٤٧] النسائي. وورد بصيغ أخرى عند بعض أصحاب السنن.

[٤٨] اللفظ كما هو عند مسلم، واللفظ عند البخاري "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".

وهذا عمر بن الخطاب ﵁ بقوله في صلاة التراويح «نعمت البدعة»، كما يؤثر مثل ذلك عن ابن عمر ، فهل هما مُشاقَّان لله ورسوله، لأنه يلزم من قولهما أن في البدعة محمود ومذموم!؟ وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم، منهم النووي وابن عبد السلام والقرافي وابن العربي وخاتمة الحفاظ ابن حجر. فهل هؤلاء كلهم لا يفهمون كلام الله ولا كلام الرسول ﷺ!؟ أم ماذا تعني قصة عمر ﵁ لما جمع الصحابة في صلاة التراويح وصلوا عشرين ركعة !؟ ولم يُجْمَعوا على ذلك زمن الرسول ﷺ خشية أن تفرض التراويح بهذا العدد، لأن الوحي كان ينزل. فهل هذه تهمة من عمر بأن في الشرع نقصاناً وجاء عمر ليكمله!؟ بل هو الفهم السَّوي لقواعد الدين. فلما أتم عمر ذلك نظر إلى صحابة رسول الله ﷺ وقال «نعمت البدعة»، بمعنى أن هذا الجمع الطيب هو بدعة محمودة حسنة، أي أنها سنَّة مستنبطة توافق هدي رسول الله ﷺ.

وهذا عمر بن عبد العزيز، ومقر خلافته دمشق، بلغه أن أهل مكة يصلُّون التراويح عشرين ركعة، ويطوفون بعد كل أربع ركعات، وهو أمرٌ لم يرد عن الرسول ﷺ في التراويح، فأمر أصحابه في دمشق أن يصلوا أربع ركعات بدل كل طواف، حتى يدركوا ثواب أهل مكة ، فصارت التراويح عندهم ستا وثلاثين ركعة. فهل هؤلاء مشاقُّون لله ورسوله في قولهم إن البدعة محمودة ومذمومة؟ وإذا كان الأمر كما يقولون بأن أي أمر لم يحدث زمن الرسول ﷺ هو بدعة، فإن هذا يخالف الشرع والعقل، فهل جَمْع القرآن الذي كان زمن الصديق بدعة سيئة!؟ وهل عمل الدواوين للإدارة الذي كان زمن الفاروق بدعة سيئة!؟ وهل ركوب البحر في الفتوحات الإسلامية الذي كان زمن عثمان بدعة سيئة!؟ هذا كله لم يكن زمن رسول الله ﷺ، حتى نحن لم نكن، فهل نحن بدعة!؟

وقد يقولون إن البدعة مخصوصة بالعبادة، يقسمونها إلى دينية ودنيوية. وكأن المباح ليس من أحكام الدين! وكأن البدعة السيئة التي تكون في غير العبادات لا يشملها الحديث الذي يقول: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[٤٩].

إن شرع الله ودينه شامل لكل تصرفات المسلم: عباداته ومعاملاته ولبسه وأكله وأحكامه وأقضيته وأنكحته ومواريثه وكل أعماله. كلها تدخلها البدعة المحرمة التي تغاضوا عنها ، وهي التي أضرت بالدين. ومن أخطر هذه البدع العقائد التي خرجت بها طوائف من الدين أمثال الخوارج، وبِدَع الحُكم، وأخطرها الخروج عن شريعة الله. وإلا فهل الصلاة على رسول الله ﷺ بعد الأذان بدعة سيئة كاختلاط الرجال بالنساء في الأعراس والمسابح والعمل في المؤسسات وغير ذلك؟ وهل اجتماع البعض لذكر مآثر الرسول ﷺ والصلاة عليه في يوم مولده جريمة تقابل جريمة الانحلال والفساد والتسيب، بحيث يُهاجَم الأول ويُغَضُّ الطرف عن الثاني؟!

سؤال (2): بعنوان (معنى (كل) في حديث الرسول ﷺ "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة")[٥٠]. ما معنى (كل) في هذا الحديث؟ وهل حقا يشمل كل ما أُحدث بعد رسول الله ﷺ من خير وشر؟

جواب (2): يقول القاضي الحضرمي: (إن من قواعد الأصول الثابتة أن في كلام الله وكلام رسول الله ﷺ كثيرا من الكليات والعموميات، من العام المخصوص، أو العام الذي أريد

---

[٤٩] اللفظ كما هو عند مسلم، واللفظ عند البخاري "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد".

[٥٠] عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ". المستدرك على الصحيحين.

به الخصوص. والعموميات في الكتاب والسنة كثيرة وكلها دخلها التخصيص. ومن العام الذي أريد به الخصوص قوله تعالى في قصة الريح التي أرسلت لعاد ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ ﴾[٥١]، وبالتأكيد فهي لم تدمر الأرض كلها ولا الكواكب. وكقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩ ﴾[٥٢]، مع أن هناك من الأدلة ما يبلغ التواتر في أن المسلم ينتفع بعمل غيره من إخوانه المسلمين ودعاء الملائكة. ويشهد لذلك حديث **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له"**[٥٣].

وفي العموم الذي أريد به الخصوص قوله ﷺ الذي رواه البخاري **"في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام "**[٥٤] أي الموت. وقد أجمع الشراح أنه ليس على عمومه ، مع أن فيه الكلية (كل).

ومن العام الذي أريد به الخصوص قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾[٥٥]، فإن المراد بالناس في الأول المخبِرين ، وهم لا شك عدد محدود من الناس. والثاني هم أبو سفيان وجماعته، وليسوا هم كل الناس. وفي الكتاب والسنة من هذه العموميات المخصوصة أو التي

---

[٥١] الآية 25 سورة الأحقاف.

[٥٢] الآية 39 سورة النجم.

[٥٣] نص الحديث عند مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ".

[٥٤] البخاري.

[٥٥] الآية 173 سورة آل عمران.

يراد بها الخصوص شيء كثير. فكيف ينكر على جمهور من العلماء الراسخين قولهم هذا الحديث (كل بدعة ضلالة) أنه من العام المخصوص أو الذي أريد به الخصوص، فالمقصود هنا المحدثات التي ليس في الشريعة ما يشهد لها بالصحة، فهي المرادة بالبدع، أما المحدث الذي يحمل النظير على النظير، فهذه سنة الخلفاء والأئمة الفضلاء. ولا يَفهم هذه المعاني إلا من كان له الباع الطولى والفقه الصحيح والفهم العميق للشريعة ومقاصدها). انتهى كلام القاضي الحضرمي.

حكم تكفير المسلم

سؤال (3): بعنوان (حكم تكفير المسلم) . ما حكم الإسلام في مسلمٍ كفَّر مسلماً، وهي آفة منتشرة في هذا العصر؟

جواب (3): قضية تكفير المسلمين على ألسنة من لا خلاق لهم نراها فعلاً تزداد وتنتشر، بحيث نسمع من يُكفِّر حالق لحيته أو لابس الذهب أو البنطال أو ربطة العنق، حتى سمعنا من يكفر من يأخذ راتبه من الدولة، ناهيك عمن يكفر العلماء والذاكرين وأهل الفضل والخير. وكأني برسول الله ﷺ يشير إليهم في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا، قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ"**[٥٦] . وقال البخاري: كان ابن عمر يراهم شر خلق الله، وقال أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين. وعن حذيفة قال: قال ﷺ: **"إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلإِسْلامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهِ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ**

[٥٦] مسلم.

بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي "[٥٧]. وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ **"أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ "**[٥٨].

ورحم الله علماء الإسلام وفقهاءه الذين لا تجد عندهم أخلاق التبديع إلا على الفرق المنحرفة في العقائد دون تكفير لهم ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، إلا من جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فهذا الذي أعلنوا كفره، إذ لا سبيل إلى التأويل. أما التبديع والتضليل للفرق المنحرفة في العقائد كالباطنية والقدرية والخوارج فهم الذين أجمع أهل السنة على تبديعهم وتضليلهم لتوافر النصوص وتظاهرها عليهم. فالخوارج هم الذين كَفَّروا أمير المؤمنين علياً والصحابة الذين معه.

فليحذر أولئك النفر، ويكفوا عن أهل لا إله إلا الله، ولا يكفرُّوهم بذنب، ولا يخرجوهم من الإسلام بعمل حتى لا يعود التكفير على المكفِّر، كما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

---

[٥٧] صحيح ابن حبان.

[٥٨] مسلم.

الباب الثالث: التوسل

تمهيد

يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٥٩]. يقول الشيخ أحمد الصاوي المالكي في حاشيته، على تفسير الجلالين في تفسير هذه الآيات: (لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة، وكانت التوبة من جملة التقوى، حثّ على طلبها هنا. وقوله (إليه) متعلقا بـ (ابتغوا) أي ما يقربكم ويوصلكم إليه، والتقوى هنا في الآية: ترك المخالفات، وابتغاء الوسيلة: فعل المأمورات، ويصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة، وترك المنهيات المحرمة، وابتغاء الوسيلة هو ما يقربه إليه مطلقاً... ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك. فالمعنى كل ما يقربكم إلى الله فالزموه، واتركوا ما يبعدكم عنه. وإذا علمت ذلك فمن الضلال البيِّن والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله، كلا بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها رسول الله ﷺ: **"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، من الخير "**[٦٠]، والوسيلة له: هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿ .. وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ .. ﴾).

---

[٥٩] الآية 35 سورة المائدة.

[٦٠] النسائي، ورواية البخاري (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وقد فسر بعضهم الوسيلة بمنزلة في الجنة، وكونها بهذا المعنى غير ظاهر، لاختصاصها بالأنبياء عليهم السلام، عن رسول الله ﷺ قال: **"إذا صليتم فاسألوا الله لي الوسيلة، قيل يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: إنها أعلى منزلة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو الله أن أكون هو"**[٦١].

ويقول الله تعالى أيضاً: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤** ﴾[٦٢]، قال الزمخشري في الكشاف: (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت، جاءوك تائبين من النفاق، متنصلين عما ارتكبوا، فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص، وبالغوا بالاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك، حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى ومستغفراً، لوجدوا الله تواباً رحيماً، أي لتاب عليهم).

وهذه الآية و إن كانت نزلت بسبب المنافقين والمتحاكمين إلى الطاغوت، فهي عامة تشمل كل عاصٍ ومقصّرٍ ومذنبٍ، لأن ظلم النفس المذكور فيها، يشمل كل معصية، ثم إن الآية تدل على الاستشفاع بالنبي ﷺ في حالتي حياته ووفاته، لأن كلاً من فعلي المجيء والاستغفار، وقع في سياق الشرط، أو الفعل في سياق يدل على العموم، والاستشفاع في حالة الحياة ظاهر وليس فيه خلاف، وأما في حالة الوفاة فينكره بعض الأدعياء، متوهمين أن الموت يحول دون تحققه، وفي ذلك خطأ ظاهر لسببين نذكرهما الآن مختصرين، على أن نشرحهما فيما بعد:

---

[٦١] أحمد وغيره.

[٦٢] الآية 64 سورة النساء.

الأول: أن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون.

الثاني: أننا نعتقد أن جميع الأنبياء والأولياء لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف، لا في حياتهم ولا بعد مماتهم، وأن الأمر كله لله، وإنما التوسل بهم وطلب الدعاء منهم ، هو لأنهم محل نظر ورعاية وولاية الله تعالى، فيستوي بذلك الأمر في حياتهم الدنيوية والبرزخية، بل البرزخية من باب أولى.

إن أصل التوسل مشروع لا خلاف فيه، وإن من أنكره، قدح – والعياذ بالله – في كثير من الآيات والأحاديث والأقوال التي سنتعرض لها إن شاء الله، ولم يتعرض للإنكار أحدٌ من العلماء والصالحين طيلة التاريخ الإسلامي، إلا مِن بعض المتأخرين، ولا عبرة بقولهم، وقد رد العلماء عليهم قولهم وأوضحوا بطلان آرائهم التي ابتليت بها الأمة.

أنواع التوسل:

سؤال (1): ما هي أنواع التوسل؟ وهل هناك خلاف حولها؟

جواب (1): التوسل ستة أنواع، ثلاثة منها لا خلاف فيها بين المسلمين جميعاً:

النوع الأول: التوسل بالنبي ﷺ

وهو أساس التوسل بالصالح الحي إلى الله تعالى. ومن أدلته:

الحديث الأول: **"أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من بابٍ كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطُب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا. قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا**

قزعةٍ، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار، قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً، قال: ثم دخل رجلٌ من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده ثم قال: اللهم حَوْلَنا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر، فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري"[٦٣]. وفي الحديث دليل واضح على على جواز التوسل بالحي الصالح، وإلا لأُمر ذلك الرجل بالدعاء من بيته أو أي مكان آخر دون الرجوع إلى رسول الله ﷺ.

الحديث الثاني: "أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال إني أُصبت ببصري، فادع الله لي، فقال ﷺ: اذهب فتوضأ وصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بحق نبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أستشفع بك على ربي في رد بصري – وفي رواية "في حاجتي لتقضى لي اللهم شفِّعه فيَّ" – ثم قال ﷺ: وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك"[٦٤]. وهذا الحديث حجة قوية في صحة التوسل بالحي، ومفهومه حجة لصحة التوسل بالميت. وسيأتي ذكره في مكان آخر.

وورد: **"أن رجلا قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هلك الزرع وجف الضرع وإنّا نستشفع بك إلى الله تعالى ونستشفع بالله عليك. فسبّح رسول الله ﷺ حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال: ويحك أتدري ما الله تعالى! إن الله تعالى لا يُشفع به على أحد**

---

[٦٣] مسلم.

[٦٤] أخرجه البخاري في التاريخ الكبير وابن ماجة في السنن ونص على صحته النسائي وأبو نعيم والبيهقي والمنذري والهيثمي والطبراني وابن خزيمة وهو ما رواه الترمذي بسنده عن عثمان بن حنيف .

من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك "[٦٥]. فيلاحظ هنا إنكاره ﷺ قول الرجل: (إنا نستشفع بالله تعالى عليك). ولم ينكر قوله: (إنا نستشفع بك إلى الله تعالى).

وفي الصحاح مجموعة عطرة من هذه الأحاديث، لا يتسع لها المجال هنا في إثبات صحة التوسل بالحي الصالح.

النوع الثاني: التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته

وهو التوسل إلى الله بذاته تعالى وبأسمائه وصفاته ونحوها. وهذه الأنواع متفق على مشروعيتها.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦** ﴾[٦٦].

وقال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ١٨٠** ﴾[٦٧].

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠** ﴾[٦٨].

---

[٦٥] أبو داود في سننه وغيره.

[٦٦] الآية 186 سورة البقرة.

[٦٧] الآية 180 سورة الأعراف.

[٦٨] الآية 60 سورة غافر.

والأدلة على هذا النوع أكثر من أن تحصى.

النوع الثالث: التوسل بالعمل الصالح

وهو توسل الحي بالعمل الصالح إلى الله تعالى.

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى آووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم، اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. قال النبي ﷺ: وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إليّ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمّت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلتْ، حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أُحِل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، وفي رواية: أسألك بالله أن لا تفض الخاتم إلا بحقه. فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليّ ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبي ﷺ: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمّرت أجره حتى كثرت منه**

الأموال، فجاءني بعد حين، فقال يا عبد الله: أدِّ إليّ أجري. فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت: إني لا استهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا. اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون"[٦٩].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ في دعاء الخارج إلى الصلاة قوله: **"اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشايَ هذا، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، ولكن خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك ، أن تنقذني من النار وأن تدخلني الجنة"**[٧٠]. وهذا الحديث أيضاً توسل بالعمل الصالح والرجل الصالح **"بحق السائلين عليك" "وبحق ممشاي هذا"**.

النوع الرابع: التوسل بالميت الصالح

وهو الأمر الذي اشتد الخلاف فيه في هذا الزمن ولم يكن مطروقاً في الماضي. علماً بأن جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة قد أجازوه بالدليل الشرعي. وفي الشرع من الأدلة النقلية الصحيحة ما يؤكد هذا النوع من التوسل. ولقد أوردنا في النوع الأول من أنواع التوسل حديث الأعمى لأنه المحور الأساسي في إثبات شرعية هذا النوع الرابع من التوسل. ونص الحديث حجة صحيحه للتوسل الأول، ومفهومه حجة لصحة التوسل بالميت. فقد بيَّنَّا في التمهيد عقيدتنا في التوسل في أننا لا نتوسل بالجسم ولا بالحياة ولا بالموت، ولكن بالمعنى الحسن والجاه الرفيع المقبول عند الله للصالح حياً كان أو ميتاً، إذ الفعل لله، ولا فرق بين حياة

---

[٦٩] البخاري ومسلم.

[٧٠] ابن ماجة.

المتوسَّل به أو مماته. وقوله في الحديث (يا محمد إني أستشفع بك) نداء للغائب يستوي فيه الحي والميت.

ورغم ذلك فهناك أثر طيب أخرجه الطبري في معجمه الصغير عن أبي أُمامة ابن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: وهذه الرواية هي امتداد للمفهوم والمعنى الذي ورد في حديث الأعمى: (أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان ﷺ في حاجة له، فكان عثمان لا يتلفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك ، (وهذه الحادثة بعد وفاة الرسول ﷺ وبعد خلافة أبي بكر وعمر) فقال له عثمان بن حنيف : [وهو الصحابي المحدث العالم بدين الله] إيت الميضأة، فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين ، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد: إني أتوجه بك إلى ربي، فيقضي حاجتي قال: وتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك، فانطلق الرجل يصنع ما قاله له، ثم أتى باب عثمان بن عفان ، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة (الوسادة) فقال: ما حاجتك، فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلمتَه، (يظن أن ابن حنيف كلَّمه، وتوسط له عند أمير المؤمنين عثمان) فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلَّمتُه، ولكني شهدت رسول الله ﷺ وأتاه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: أوَتصبر؟ فقال: يا رسول الله! إنه ليس لي قائد وقد شق عليّ، فقال ﷺ: إيت الميضأه، فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل الأعمى (كأن لم يكن به ضر قط). والحديث محقق مع الحديث الأول.

سؤال (2): بعنوان (أين الحقيقة في جواز التوسل بالصالح الحي والعمل الصالح وبعدم جوازه بالصالح الميت). يقر البعض بجواز التوسل بالصالح الحي والعمل الصالح وبعدم جوازه بالصالح الميت. ويستشهدون على ذلك بتوسل الصحابة بالعباس عم النبي ﷺ، أين الحقيقة في ذلك؟

جواب (2): (أن الأرض أجدبت في زمن سيدنا عمر الفاروق ﵁، وكادت الريح تذر تراباً كالرماد لشدة الجدب فسمي (بعام الرمادة) ، ولذلك خرج سيدنا عمر ﵁ يستسقي، فقال للناس: هل فيكم من آل بيت النبي ﷺ قالوا: نعم، العباس بن عبد المطلب، عم الرسول ﷺ، فأخذ سيدنا عمر بيده وأوقفه أمامه وقال: (اللهم إنّا نتقرب إليك بعم نبيك فأنت تقول وقولك الحق ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[٧١] فحفظتهما لصلاح أبيهما، فاحفظ اللهم نبيك في عمه، فقد دنونا به إليك مستغفرين، ثم أقبل على الناس وقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، والعباس عيناه تنضحان وهو يقول : (اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الكبير والصغير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السرّ وأخفى، اللهم أغثنا بغيثك فقد تقرب القوم بي إليك لمكانتي من نبيك عليه الصلاة السلام). فنشأ طرير من سحاب وقال الناس: أترون أترون! ثم تراكمت الغيوم وماست فيها ريح ثم هرّت ودرّت ، حتى قلعوا الحذاء وقلعوا المآزر، وعاد الناس يتمسحون بردائه ويتبركون به، ويقولون هنيئا لك ساقي الحرمين)[٧٢].

---

[٧١] ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ الآية 82 سورة الكهف.

[٧٢] حديث التوسل بالعباس، حديث صحيح رواه البخاري والطبراني وابن ماجة.

جملة القول في موضوع التوسل بالصالح الميت ينحصر في الآتي:

أولاً: جاء في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر: (سبب توسل الصحابة بالعباس أن هذا لا يتنافى مع التوسل بالنبي ﷺ في قبره، لأن سبب توسلهم به ﵁، هو قرابته من الرسول ﷺ، فكأنهم توسلوا بالرسول وبعمّه في وقت واحد). وكانت طائفة في العام نفسه وللسبب نفسه تتوسل إلى الله مستسقين بالرسول ﷺ في قبره، كما (أن بلال بن الحارث المزني الصحابي، أتى إلى قبر رسول الله ﷺ عام الرمادة، في عهد عمر بن الخطاب وقال: (يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.) [٧٣]..إلخ. وهو نص لم ينكر على الصحابي فأخذ قوة الإجماع.

قال محمد بن حرب الهلالي : (أتيت قبر النبي ﷺ، فزرته فجلست بحذائه، فجاء أعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره وحثى من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله تعالى ووعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿...وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ...﴾ [٧٤]، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك)[٧٥]. وفي هذا جواز التوسل واستمداد المغفرة والمدد من الله تعالى بجاهه ﷺ.

---

[٧٣] أخرجه ابن أبي شيبة عن مالك الدار بسند صحيح ، كما في فتح الباري ، وأخرجه البخاري في التاريخ ، وابن أبي خثيمة والبيهقي في الدلائل.

[٧٤] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الآية 64 سورة النساء.

[٧٥] ابن عساكر وابن الجوزي وابن النجار بأسانيدهم .

ثانياً: إن الأمر بالنسبة للأنبياء والشهداء يستوي في الحياة والممات لأنهم أحياء في قبورهم، ولأن الأرض لا تأكل أجسادهم، عن أوس أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** "[٧٦]، عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: "**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**"[٧٧]. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "**مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره**"[٧٨].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: "**حياتي خير لكم تحدثون ويُحدّث لكم، فإذا أنا متّ ، كانت وفاتي خيراً لكم ، تُعرض علي أعمالكم ، فإن رأيت خيراً حمدت الله ، و إن رأيت شراً استغفرت لكم** "[٧٩]. وهذا العرض كل يوم، وقد عُدّ من خصائصه ﷺ. وكثرة الأحاديث بهذا المعنى تدل دلالة لا شك فيها على أن حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من باب أولى، لأن هذا هو حال الشهداء أيضاً ، وإن كانت حياتهم دون حياة الأنبياء. قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾**﴾[٨٠].

ثالثاً: هذه الوسيلة كانت قبل ميلاد الرسول ﷺ، فقد ذكر القرآن الكريم قصة بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى**

---

[٧٦] النسائي.

[٧٧] البيهقي في كتاب الأنبياء وصححه.

[٧٨] مسلم.

[٧٩] رواه الحافظ الهيثمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

[٨٠] الآية 154 سورة البقرة.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ٨٩﴾[٨١]، يقول صاحب الكشاف ما نصُّهُ : (وكانوا، يعني اليهود من قبل ، أي من قبل مبعث النبي ﷺ، يستفتحون ، أي يستنصرون به على الذين كفروا ، يعني مشركي العرب، وذلك أنهم كانوا إذا حزبهم أمر أو دهمهم عدو يقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، وكانوا ينتصرون. وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم. فلما جاءهم ما عرفوا ، أي الرسول ﷺ، عرفوا نعته وصفته، كفروا به، أي جحدوه وأنكروه بغياً وحسداً وكفراً).

رابعاً: يُستفاد من حديث التوسل بالعباس درسٌ لقَّننا إياه أمير المؤمنين عُمر للتبرك والمحبة لآل بيت الرسول ﷺ، قال الله تعالى :﴿ ...**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ...﴾[٨٢].

النوع الخامس: التوسل بالصالح الحي

وقياساً على حديث العباس والاستسقاء به ، أجاز العلماء التوسل بالصالح الحي الذي عُلم صلاحه من غير النبي ﷺ، كما أجازوا التوسل بالصالح الميت قياساً على جواز التوسل برسول الله ﷺ بعد وفاته. وهذا عمر بن الخطاب يتوسل إلى الله بصحابة رسول الله ﷺ. عن زيد بن أسلم قال: (لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عَمرو بن العاص رضي الله عنه: أما بعد فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم، وإن الله تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم،

---

[٨١] الآية 89 سورة البقرة.

[٨٢] ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ٢٣ ﴾ الآية 23 سورة الشورى.

وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على القتال ، وقدِّم أولئك الأربعة في صدور الناس ، وأمر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة)[٨٣]. وهذا خالد بن الوليد يتوسل ويستنصر بشَعر النبي ﷺ، عن جعفر ابن عبد الله بن الحكم أن خالِداً بن الوليد ﷺ فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها، فلم يجدوها، فقال اطلبوها، فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خَلقة (بالية) فقال خالد : (اعتمر رسول الله ﷺ، فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقت النصرة)[٨٤].

وأخرج ابنُ سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: (أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه). وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: (رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ، إذا خلا المسجد، أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون).

والعقيدة الصحيحة التي نحن عليها أن الأنبياء والأولياء والصالحين لا فعل لهم ولا قدرة ولا تصرف، لا الآن ولا حين كانوا أحياء في دار الدنيا ، لأن صفتهم الفناء والاستهلاك. وهو ما أكده الشيخ يوسف الرفاعي في كتابه «أدلة أهل السنة والجماعة» بقوله: "لو كان هذا التوسل شركاً وتوجهاً إلى غير الله كما يزعم المنكرون، فينبغي أن يمنع التوسل وطلب الدعاء من الصالحين من عباد الله وأوليائه في حال الحياة أيضاً. وليس ذلك مما يُمنع ، فإنه مستحبٌ ومستحسن شائع في الدين، ولو زعم أنهم عزلوا وأخرجوا من الحالة والكرامة التي كانت لهم في الحياة الدنيا فما الدليل عليه؟ ومن اشتغل من الموتى عن ذلك بما عرض له من الآفات فليس

---

[٨٣] أخرجه بن عبد الحكم.

[٨٤] الطبراني.

ذلك كافياً ولا دليلاً على دوامه واستمراره إلى يوم القيامة" . ويقول أيضاً "نعم إن كان الزائر يعتقد أن أهل القبور متصرفون ومستبدون وقادرون من غير توجه إلى حضرة الحق والالتجاء إليه ،كما يعتقده العوام الغافلون الجاهلون، وكما يفعل أولئك من تقبيل القبر والسجود والصلاة إليه مما وقع عنه النهي والتحذير، فذلك مما يمنع ويحذر منه، وفعل العوام لا يعتبر قط، وهو خارج عن البحث ، وحاشا من العالم بالشريعة والعارف بأحكام الدين أنه يعتقد ذلك ويفعل هذا".

وإلى هذا التوسل أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين في المناظرة التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ، فقد قال له الإمام مالك: (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ... ﴾[85]. وقد مدح قوماً فقال﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ... ﴾[86]، وذم قوماً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ ... ﴾[87]. وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله (يعني الإمام مالك) أستقبل القبلة وأدعو ، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال الإمام مالك :ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة. بل استقبله واستشفع به فيشفِّعه الله، قال الله تعالى :﴿ ...وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ

---

[85] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾الآية 2 سورة الحجرات.

[86] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الآية 3 سورة الحجرات.

[87] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ الآية 4 سورة الحجرات.

جَآءُوكَ ... ﴾[88]. وهذه القصة رواها القاضي عياض بإسناد صحيح. وقد صرّح كثيرٌ من العلماء بهذا.

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة ينص على: (صحة التوسل وجوازه بالنبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، كما دلت الأحاديث السابقة). فإننا إذاً وبناءاً على ما تقدم لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا خيراً إلا لله وحده لا شريك له، فلا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا خيراً للنبي ﷺ باعتبار الخلق والإيجاد والتأثير، ولا لغيره من الأحياء والأموات. فلا فرق في التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء، وكذا بالأولياء والصالحين، ولا فرق بين كونهم أحياءً أو أمواتاً، لأنهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم من دون الله تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم لكونهم أحبّاء الله تعالى، والخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له، ولأنه تسري بركة المكان على الداعي، كما ذكر الإمام الشوكاني. أما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات حيث جوّزوا بعض التوسلات بالأحياء دون الأموات، فهم القريبون من الزلل والخلل، لأنهم اعتبروا أن الأحياء لهم تأثير دون الأموات مع أنه لا تأثير إيجاداً لغير الله تعالى على الإطلاق.

وأما الإفادة وفيض البركات والاستفادة من أرواحهم استفادة اعتيادية، وتوجه أرواحهم إلى الله تعالى طالبين فيض الرحمة على ذلك المتوسل فهو شيء جائز وواقع وخال عن كل خلل دون الفرق بين الأحياء والأموات.

---

[88] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾ الآية 64 سورة النساء.

فشبهة المانعين إن كانت من جهة أن الأموات أجساد هامدة جامدة ، ولا روح ولا إدراك ولا مجال للخطاب معهم، فتلك ساقطة من الاعتبار لأن أجساد الأنبياء لا تبلى، و أن الله حرّم على الأرض أن تأكل لحومهم، وأن أرواحهم باقية ثابتة ، ولها إدراك بإذن الله تعالى، وهو تعالى يُعلمها بصلاة المسلمين وبتوسلات المتوسلين، وحسبك في الموضوع خطابك النبي ﷺ في كل صلاة عند التشهد بقولك : (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وليس (السلام على النبي). فإذا توسلنا به ﷺ على معنى طلب الدعاء منه فطلب الدعاء مشروع ، وإذا توسلنا بذاته الشريفة أو بجاهه العظيم أو بحقه الجسيم فكل ذلك واقع في الروايات الصحيحة. وإذا كان القصد الاستشفاع به ﷺ فلا شك أنه الشفيع وشفاعته ثابتة شرعاً. وما توهم الناس به من أنه شرك فالشرك أن يجعل العبد أحداً سوى الله تعالى شريكاً له في الألوهية والربوبية والخلق، وأين ذلك من التوسل بالرسول ﷺ، بصفة أنه عبد الله ونبيه ورسوله ، أكرمه بفضله وجعل له الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود.

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن الشريف:

فامدح كما شئت فهو الفذ مرتبة وليس فوقه إلا الله فافتهم[٨٩]

وقياس المسلمين المتوسلين على عُبَّاد الأصنام فيما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم ﴿... **مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ** ...﴾[٩٠] ونحوه، ناشئ عن إغماضٍ عن الحق وانحرافٍ

---

[٨٩] تحفة الإخلاص – من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية.

[٩٠] ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴿٣﴾ ﴾ الآية 3 سورة الزمر.

عن الواقع وتسوية بين الأمة الوثنية الجاهلة الضالة وبين الأمة المسلمة المؤمنة بالله وحده لا شريك له، الناشئة عن الملة الإسلامية الحنيفة التي تمرنت على الاعتقاد بالله ، والتي رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبسيدنا محمد ﷺ عبداً ورسولاً ونبياً ، وآمنت بأن البعث حق والجنة حق والنار حق والموت حق والحساب حق. وكيف يتصور بمن أسلم وقرأ القرآن وفهم تعاليمه وأحب النبي العدنان ، أن يظن تلك الظنون الفاسدة التي ظنها عُبَّاد الأصنام الجاهليون. وكيف يتصور ذلك من العارفين بالله الدارسين لمعنى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ... ﴾[٩١]، ولإنذارات الرسول ﷺ لعشيرته بعد نزول قوله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[٩٢].

النوع السادس: التوسل بالجاه

يقول العلامة الألوسي البغدادي في تفسيره «روح المعاني» ، بعد بحث طويل في التوسل يقول ما نصه: (أنا لا أرى بأساً في التوسل إلى الله بجاه النبي ﷺ حياً وميتاً. ويراد من الجاه معنىً يرجع إلى صفة من صفاته ، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده ، وقبول شفاعته. فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل إليك بجاه نبيك ﷺ أن تقضي حاجتي ، إلهي اجعل محبتك له وسيلةً في قضاء حاجتي. ولا فرق بين هذا، وقولك: إلهي أتوسل إليك برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً : (إلهي! اجعل رحمتك وسيلة في كذا)، بل لا أرى بأساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى. نعم، لم يُعهد التوسل بالجاه والحرمة على أحد من الصحابة [الكلام للألوسي] ولعل ذلك كان تحاشياً منهم عما يُخشى أن يعلق منه في

---

[٩١] ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ الآية 110 سورة الكهف.

[٩٢] الآية 214 سورة الشعراء.

أذهان الناس إذ ذاك وهم قريبو عهدٍ بالتوسل بالأصنام. ثم يقول إن التوسل بجاه غير النبي ﷺ لا بأس به أيضاً ، إن كان المتوسل بجاهه ممن عُلم أن له جاهاً عند الله تعالى، كالمقطوع بصلاحه وولايته).

ومن هذا الفهم الطيب فتح الله على شيخنا الشيخ عبد الرحمن الشريف في قصيدته المشهورة التي يرددها أتباع الطريقة دوماً، وهي تزخر بالتوسلات الشرعية بالسادات الكرام رجال السند الشريف حتى رسول الله ﷺ، وهي قصيدة «حزب الهمزة» التي بدأ بيتها الأول بقوله:

ندعوك يا الله بالآيات والذكر ... الحكيم بمظهر الأسماء
وبحضرة القدس التي شغفت بها ... أكباد رسل الله والأنبياء[٩٣]

اصطلاح «مدد»:

سؤال (3): ما هي شرعية استخدام البعض نداء «مدد»؟

جواب (3): يقول الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله: (إن كلمة «مدد» التي ينادي بها أحدهم رسول الله، أو يخاطب بها أشياخه، أو غيرها من الكلمات التي أثارت حفيظة البعض، لها تأويل شرعي، حيث ادعى هؤلاء أن هذه الكلمة هي سؤال لغير الله ، واستعانة بسواه...

[٩٣] حزب الهمزة – من أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية.

مخالفة للنص الشرعي. فنقول إن الله تعالى يقول ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ ... ﴾[٩٤].

وحتى تكون الصورة أوضح نقول: على السالك في جميع أحواله أن يعلم أمرين:

الأول: أن يعلم أن الله تعالى هو مُسبب الأسباب ، والمتصرف تصرفاً مطلقاً في هذا الكون خلقا وإمداداً. ولا يجوز للعبد أن يشرك معه أحداً من خلقه مهما علا قدره من نبيّ أو وليّ.

الثاني: أن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً ، فالمؤمن يتخذ الأسباب ، ولكنه لا يعتمد عليها، ولا يعتقد بتأثيرها الاستقلالي. فإذا نظر العبد إلى السبب واعتقد بتأثيره المستقل عن الله تعالى فقد أشرك ، لأنه جعل الإله الواحد آلهة متعددين، وإذا نظر للمسبب وأهمل اتخاذ الأسباب فقد خالف سنة الله الذي جعل لكل شيء سبباً، والكمال هو النظر بالعينين معاً ، فنشهد المسبب ولا نهمل السبب... ولتوضيح هذه الفكرة نسوق بعض الأمثلة عليها:

إن الله تعالى وحده هو خالق البشر، ومع ذلك فقد جعل لخلقهم سبباً عادياً، وهو التقاء الزوجين، وتكُّونُ الجنين في رحم الأم، وخروجه منه في أحسن تقويم.

وكذلك فإن الله تعالى هو وحده المميت، ولكنه جعل للإماتة سبباً هو ملك الموت، فإذا لاحظنا المسبب قلنا ﴿... ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ... ﴾[٩٥]. وإذا قلنا إن فلاناً قد توفاه ملك

---

[٩٤] ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الآية 20 سورة الإسراء.

[٩٥] الآية 42 سورة الزمر.

الموت لا نكون قد أشركنا مع الله إلها آخر لأننا لاحظنا السبب كما بيَّنه تعالى في قوله :

﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾[٩٦].

وهكذا الأمر بالنسبة للهداية ، إذا نظرنا للمسبب رأينا أن الهادي هو الله وحده. ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[٩٧]، وإذا لاحظنا السبب نرى قول الله تعالى لرسوله: ﴿ ...وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[٩٨]. أي تكون سبباً في هداية من أراد الله هدايته.

والعلماء العارفون المرشدون هم ورثة الرسول ﷺ في هداية الخلق ودلالتهم على الله تعالى. فإذا استرشد مريد بشيخه، فقد اتخذ سبباً من أسباب الهداية التي أمر الله تعالى بها ، وجعل لها أئمة يدلون عليها ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٩٩]، فكما يجوز أن نقول : يا رسول الله اهدني ، ويا ملك الموت اقبضني ، باعتبار أن المسبب في الهداية والقبض هو الله تعالى، والسبب في الأول الرسول ﷺ، وفي الثاني ملك الموت، كذلك يجوز القول : مدد يا رسول الله، باعتبار أن المسبب بالمدد هو الله ، وأن المدد من عنده، والسبب فيه هو الرسول ﷺ، كذلك نقول إن الهداية سببها الرسول ﷺ،

---

[٩٦] الآية 11 سورة السجدة.

[٩٧] الآية 56 سورة القصص.

[٩٨] الآية 52 سورة الشورى.

[٩٩] الآية 24 سورة السجدة.

ومسببها هو الله، وهي تجري بأمره ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[١٠٠].

[١٠٠] الآية 24 سورة السجدة.

الباب الرابع: الرسول ﷺ

بين يدي الباب

قال تعالى في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[١٠١]

جاء في الصلوات الدرديرية لشيخنا العارف بالله الشيخ أحمد الدرديري: "اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد النور الذاتي والسر الساري في سائر الأسماء والصفات".

قال شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحمن الشريف قدست أسرار روحه في قصيدته «تحفة الإخلاص»:

[١٠١] الآية 56 سورة الأحزاب.

وَقُمْ عَلَى سَاقِ جِدٍّ فِي مَحَبَّةِ مَنْ
لَوْلاهُ مَا أُنْزِلَ التَّنْزِيلُ بِالْحِكَمِ[١٠٢]

كَلّا، وَلَا سَطَعَ الإِيجَادُ مِنْ أَحَدٍ
كَلّا، وَلا أُرْسِلَتْ رُسْلٌ إِلَى أُمَمِ

قَالُوا تَمَدَّحْ، فَمَدْحِي فِي جَلَالَتِهِ
عَيْنُ الْقُصُورِ بِخَيْرِ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ

مَاذَا اِمْتِدَاحِي بِمَنْ لَولاهُ مَا خُلِقَتْ
عَوَالِمٌ بَلْ وَلا قُوْرٌ[١٠٣] مَعَ الأَكَمِ[١٠٤]

وَلا سَمَاءٌ وَلا أَرْضٌ وَلا مَلَكٌ
وَلا رَسُولٌ وَكَانَ الْكُلُّ فِي عَدَمِ[١٠٥]

مِنَ الْجَمَالِ الْإِلَهِي كَانَ مَظْهَرُهُ
وَمِنْهُ بَدْرُ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْفَخِمِ

---

[١٠٢] قم واجتهد فِي محبة سيدنا محمد ﷺ الَّذِي لولا بعثته رحمة للعالمين ما أنزل القرآن بالآيات المحكمة، فنزول القرآن مقرون بنبوّته وبعثته.

[١٠٣] القُوْر: جمع قارَة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء.

[١٠٤] الأَكَم: الجبال الصغيرة.

[١٠٥] لَولاهُ مَا خُلِقَتْ عَوَالِمٌ... وَكَانَ الْكُلُّ فِي عَدَمِ: عَنْ ابْنِ عَباسٍ: «أَوْحى اللهُ إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ: يَا عيسى، آمِنْ بِمُحَمَّدٍ وَأْمُر مَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤمِنوا بِهِ، فَلَوْلا مُحَمَّدٍ مَا خَلَقْتُ آدَمَ، وَلَوْلاهُ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ وَالنَّار..» قالَ الحاكمُ: حَديثٌ صَحيحُ الإِسْنادِ. وَعَنْ ابْنِ عَبّاسٍ مَرفُوعاً: «أَتانِي جِبْريلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد، إنَّ اللهَ يَقُولُ: لَولاكَ مَا خَلَقْتُ الجَنَّةَ، ولَولاكَ ما خَلَقْتُ النَّار» (رواهُ الدَيْلَميُّ فِي مُسْنَدِهِ، وَذَكَرَهُ السُبكيُ فِي شِفاءِ السُقام وصَحَّحَهُ).

فَالْعَرْشُ وَالْفَرْشُ[١٠٦] وَالأَفْلاكُ أَجْمَعُهَا
مِنْ نُورِ طَلْعَتِهِ هَلَّتْ بِذِي الْعِظَمِ

وَالأَنْبِيَا وَجَمِيعُ الرُّسْلِ قَاطِبَةً
كُلٌّ لَدَيْهِ مَعَ الأَمْلاكِ كَالْخَدَمِ

وَالْكُتْبُ أَضْحَتْ بِهَذَا الشَّأْنِ نَاطِقَةً[١٠٧]
فَدَعْ مَقَالَةَ غُمْرٍ[١٠٨] ظَالِمٍ أَثِمِ

فَهُوَ السَّفِيرُ لَنَا فِي دَفْعِ نَازِلَةٍ
وَهُوَ الْعِيَاذُ لَنَا فِي كُلِّ مُزْدَحَمِ

وَهُوَ الْغِيَاثُ الَّذِي تُهْدَى نَوَائِلُهُ
لِلْقَاصِدِينَ كَذاكَ الْبَابُ لِلْحِكَمِ

فَامْدَحْ كَمَا شِئْتَ فَهُوَ الْفَذُّ مَرْتَبَةً[١٠٩]
وَلَيْسَ فَوْقَهُ إِلّا اللهُ، فَافْتَهِمِ

يَا قَلْبُ فَاجْنَحْ لَهُ كَيْ تَهْتَدِي وَتَفُزْ
يَا صَبُّ[١١٠] أَخْلِصْ وَلُذ بِالْمُصْطَفَى وَهِمِ[١١١]

---

[١٠٦] الفرش: الفضاء الواسع أَوْ تأتي بمعنى الأرض.

[١٠٧] الكتب الكثيرة نطقت بالأحاديث والدلائل عَلَى عظيم شأنه ورفيع مقامه ﷺ.

[١٠٨] لا تهتم لكلام ظالم بليد الفهم لا يعرف قدر نبيه ﷺ إذ ينهاك عَنْ المبالغة فِي مدحه.

[١٠٩] الْفَذُّ مَرْتَبَةً: صاحبُ المرْتَبَةِ الفَذَّةِ الفَريدة.

[١١٠] الصَبُّ: العاشِق.

وَاخْلَعْ عِذَارَكَ[112] وَافْنَى فِي مَحَبَّتِهِ
وَأَرْسِلْ دُمُوعَكَ مِمَّا فَاتَ فِي الْقِدَمِ

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالْزَمْ بَابَ رَأْفَتِهِ
عَسَاهُ يُسْدِيكَ[113] مَا تَرْجُو مِنَ النِّعَمِ

وَقُلْ بِذُلِّكَ[114]: يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ، يَا
مَنْ خَصَّهُ اللهُ بِالتَّعْطِيفِ وَالْكَرَمِ

عُجْتُ[115] الْحِمَى أَحْتَمِي مِنْ سُوءِ مَعْصِيَةٍ
جَنَتْهَا نَفْسِيَ جَوْفَ الأَلْيُلِ الدُّهُمِ[116]

وَيَا لَهَا مِنْ ذُنُوبٍ سَوَّدَتْ صُحُفِي
وَأَوْرَدَتْنِي حِيَاضَ الْفَوْتِ وَالنِّقَمِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي فَمَنْ لِلْعَبْدِ يُنْقِذُهُ
مِنْ حَرِّ نَارٍ تُذِيبُ الجِسْمَ بِالضَّرَمِ[117]

---

[111] هِمْ: المقصود، هِمْ بمحبته.

[112] اخْلَعْ عِذَارَك: خلع العذار كناية عَنْ ترك الحياء، والمراد هنا أَنْ لا تستح مِنْ محبتك للنبيﷺ أمام الجاهلين الَّذِينَ لا يعرفون قدره، ولا تخجل مِنْها فهي شرف لك.

[113] يُسْدِيك: يُعطيك.

[114] وَقُلْ بِذُلِّك: أي: قل وأَنْتَ فِي حالة من الذِّلة والمسكنة.

[115] عُجْتُ الْحِمَى: أَقَمْتُ بِهِ. وَالحِمَى هُنا هُوَ حَضْرَةُ الله المحْمِيَّةُ المصَانَةُ.

[116] الأَلْيُلِ الدُّهُمِ: الليالي الكالحة.

ضَيَّعْتُ أَيَّامِي بِالتَّسْوِيفِ[118] فَانْصَرَمَتْ

مِنِّي المحَاسِنُ حَتَّى صِرْتُ فِي هَرَمِ

وَلَيْسَ لِي عَمَلٌ أَرْجُو بِهِ مِنَحاً

سِوَى مَحَبَّتِكُمْ مَمْزُوجَةً بِدَمِي

يَا سَيِّدِي يَا رَسُولَ الله خُذْ بِيَدِي[119]

يَا مَلْجَئِي وَاحْبُنِي[120] مِنْ فَيْضِكَ الْعَمِمِ

وَمِنْ عَوَائِدِ آبَائِي بِآلِكَ لا

تَحْرِمْنِي[121] عِنْدَ احْتِيَاجِي أَنْتَ مُعْتَصَمِي

هَبْ أَنَّنِي غَيْرُ فَرْعٍ عَبْدُكُمْ وَكَفَى[122]

---

[117] معنى البيت: إنْ لم تستغفر الله لي يَا رسول الله وتشفع لي عنده بأن ينقذني من النار فلن يفعل ذَلِكَ غيرك، إذ لا أحد لَهُ عند الله من الجاه والمكانة ما لك.

[118] التَّسْوِيف: التأخير والمماطلة، حيث يكثر العبد مِنْ قوله: سوف وسوف.

[119] النداء هنا للطلب، كما ينادي العطشان مخلوقا يغيثه بالماء. وقد ثبتت استغاثةُ الخلقِ يومَ القيامةِ بالنبي ﷺ في أمر لا يقدر عليه مخلوق. وذلك في حديث البخاري وغيره: قال رسول الله ﷺ: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينا هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد فيشفع ليقضى بين الخلق..». والذاكرُ هنا يتأمل موقف القيامة ومكانة صاحب المقام المحمود الذي يشفع لأمته.

١٢٠ احبني: امنحني.

١٢١ وَمِنْ عَوَائِدِ آبَائِي بِآلِكَ لا تَحْرِمْنِي: أي بحق آل بيتك لا تحرمني من الصِّلات والعطايا التي تكرّمتَ بمثلها على آبائي وأجدادي.

١٢٢ أَيْ أَنني لَو لَم أَكن مِنْ ذَوي رَحِمِكُم وَنَسْلِكم فإِنِّي مِنْ رَقِيقِكُم وَخَدَمِكُم.. وَلا أَخرُجُ عَنْ هذينِ الحَالَين..

وَالرِّفْقُ بِالرِّقِّ مِنْ مُسْتَظْرَفِ الشِّيَمِ[١٢٣]

أَوْصَيْتُمُوا بِالضَّعِيفَيْنِ فَهَا أَنَاْ مِنْ

عَبِيدِكُمْ فَارْحَمُوا ضَعْفِي وَمُقْتَحَمِي

وَعَامِلُونِي بِمَا تَدْرُوهُ مِنْ صِلَةٍ

كَمَا أَمَرْتُمْ بِإِيصَالٍ لِذِي الرَّحِمِ

فِي الْحَالَتَيْنِ جَدِيرٌ بِالصِّلاتِ فَمَا

أَنْفَكُّ عَنْ جُودِكُمْ إِلا بِمُنْتَظِمِ[١٢٤]

وَلَسْتُ أَبْغِي مِنَ الْجَدِّ[١٢٥] الشَّفُوقِ سِوَى

التَّوْفِيقِ يَطْلُبُهُ مِنْ بَارِئِ النَّسَمِ

لِعَبْدِهِ الْعَاجِزِ الْمِسْكِينِ حَيْثُ لَكُمْ

جَاهٌ رَفِيعٌ بِهِ نَنْجُو مِنَ النِّقَمِ

وَهَذِهِ تُحْفَةُ الْإِخلاصِ قَدْ نُسِجَتْ

أَشْكُو بِهَا مَا عَرَى قَلْبِي مِنَ السِّقَمِ[١٢٦]

---

١٢٣ أي أن الرفق بالرق من الأخلاق المحمودة والفعال المحبوبة، وهذه هي أخلاقكم يا سيدي يا رسول الله.

١٢٤ فِي الحالَتَينِ جَديرٌ بِعَطائِكُمْ فَلا يَترُكني كَرَمُكُم إلا بما يَنْتَظِم بِهِ أَمْري وَيَصْلُح بِهِ حَالي.

١٢٥ الْجَدّ: أي النبيّ ﷺ فهو جَدّ ناظم القصيدة الشيخ عبدالرحمن الشريف. بَارِئُ النَّسَم: الله تعالى خَالِقُ النُّفوس. ومعنى البيت، أنني فيما أطلبه من النبي ﷺ إنما أتوسل به وبدعائه لكي أنال توفيق ورضا وعطاء الله. والعطاء والخير كله من الله تعالى ولا أحد ينفع أو يضر بذاته استقلالا إلا هو، وإذا نُسب النفع والضر لغيره فإنما ذلك من المجاز.

١٢٦ السِّقَم: الأَمْراض وَالآفاتْ.

حُسْنُ اعْتِقَادِي بِأَنَّ الْجَدَّ يَقْبَلُهَا

لا شَكَّ، بَلْ وَيَجِدْ كَوْنِي مِنَ الْخَدَمِ

وَلا يَدَعْنِي فَقِيرَ الْحَالِ مِنْ جِهَتَيْ

دِينِي وَدُنْيَايَ وَهُوَ الْوَافِيُ الذِّمَمِ

أَيَتْرُكُ الْأَصْلُ فَرْعَاً قَدْ نَحَاهُ هَوَىً

مِنْ غَيْرِ مَدٍّ لأَمْرٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ[١٢٧]

حَاشَا وَكَلا بِأَنْ يُقْلَى[١٢٨] لِغَفْلَتِهِ

وَاللهِ وَاللهِ هَذَا أَعْظَمُ الْقَسَمِ

يَا رَبِّ بِالسَّيِّدِ الْهَادِي الْبَشِيرِ كَذَا

بِآلِهِ الْغُرِّ[١٢٩] مَنْ هُمْ سَادَةُ الْحَرَمِ

---

١٢٧ أي لا يترك الأصل (وهو هنا النبي ﷺ) فرعا (وهو هنا من كان من نسله أو من خدمه) قد أزاغه هوى وأماله لحال غير صالح، بدون أن يمده بما يهديه ويصلح حاله ويعيده إلى الرشاد. قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ [النساء: **64**] والمعنى في الآية شامل؛ في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته، ذلك لأن الأنبياء أحياءٌ حياةً خاصة بهم، كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو يعلى عن أنس بن مالك: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون». وكما صحّ من اجتماع النبي ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء، وانتفاع الأمة بنبي الله موسى عليه السلام في تخفيف الصلاة وهو في دار البرزخ. وقس على ذلك.

١٢٨ يُقْلَى لِغَفْلَتِهِ: يُترك لغفلته ويُكره بسببها .

١٢٩ الْغُرّ: الأشراف. ومفردها أغرّ.

هَبْ لِي مَرَامِي وَنَفِّذْ كُلَّ مَا طَلَبَتْ

نَفْسِي مِنَ الخَيْرِ وَانْطِقْ بِالصَّوَابِ فَمِي

وإنك لعلى خلق عظيم

عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: **"أخبريني عن خُلقِ رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، فقالت: كان خلقه القرآن".**[١٣٠]

وأخرج الطبراني برواةٍ ثقاة عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: **"إن الله عز وجل لما أراد هدي زيد بن سُعْنَة الذي كان حبراً إسرائيلياً قبل إسلامه رضي الله عنه قال زيد ابن سُعْنَة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبقُ حِلْمُه جهلَه، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حِلْماً. قال زيد بن سعنه: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله ، لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً (أي واسعاً) وقد أصابتهم سنة (أي جدب) وشدة وقحط من الغيث، فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت. فنظر ﷺ إلى جانبه أراه عليًا. فقال يا رسول الله ما بقي منه شيء (أي ما عندنا ما نعطيهم) قال زيد بن سعنه (وهو كتابي حينها لم يسلم) فدنوت إليه فقلت يا محمد هل لك أن تبيعني تمرا معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال ﷺ: لا تُسم**

---

[١٣٠] مسلم.

حائط بني فلان، قلت: نعم، فبايعني فأطلقت هِمْياني (وهو كيس يشد على الوسط تجعل فيه النقود) فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاه الرجل (أي أن الرسول ﷺ أعطى الذهب للرجل الذي طلب مؤونة لجماعته) وقال له ﷺ اعدل عليهم وأغثهم، وقال سعن ة: فلما كان قبل مَحِلَّ الأجل بيومين أو ثلاثة (أي وقت استحقاق اخذ التمر من الرسول ﷺ لزيد) خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفرٍ من أصحابه فلما صلى على جنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، قلت: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما عُلِمتم بني المطلب إلا مُطْلاً ، ولقد كان لي بمخالطتكم علمٌ، ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصرهِ فقال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك (الذي يبدو أن الذي يحاذر عمر فوته: هو عدم إيمان زيد بالرسول ﷺ وهذه فراسة في عمر وكأنه علم بأن زيداً يختبر الرسول ﷺ) ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ في سكون وتُؤَدةٍ، فقال يا عمر: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا، أن تأمرني بحسنِ الأداء وتأمرَه بحسن اتباعه، اذهب به يا عُمر فأعطه حقه وزده عشرينَ صاعاً من تمرٍ مكانَ ما رُعته (أي بدل إفزاعك له) ، قال زيدٌ: فذهب عمرُ فأعطاني حقي وزادني عشرينَ صاعًا من تمرٍ. فقلت: ما هذه الزيادةُ يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتُكَ، قال: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا، قلت: أنا زيد ابن سُعْنةٍ. قال: الحبر؟ قلت: الحبر. قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت ما قلت؟ قلت: يا عمر ، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه، يسبق حِلْمُه جهلَه ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً، وقد اختبرتهما. فأُشهدك يا عمر أني قد رضيتُ بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ، وأشهدكَ أن شطر مالي (فإني

أكثرُها مالاً) صدقة على أُمة محمد ﷺ قال عمر: أوْ على بعضهم فإنك لا تسعُهُم. قلت: أو على بعضهم. فرجَع عُمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيدٌ: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهِد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غيرَ مدبرٍ رحمه الله".

أدب الصحابة مع النبي ﷺ ومحبتُهم له

سؤال (1): كيف كان تأدبُ الصحابة مع الرسول ﷺ وحبهم له؟

جواب (1): حديثُ الأدبِ مع رسولِ الله ﷺ والمحبةِ له حديثٌ يطول، تُفرد له عادةً المجلداتُ والكتب، إلا أننا نسوقُ بَعض الآثارِ للدلالةِ والإيماءِ، لأنَه أمر يعجز عنه البيان ويكلُّ دونه اللسان.

عن أنسٍ رضي الله عنه **"أن رسول الله ﷺ كان يخرجُ على أصحابهِ من المهاجرين والأنصار وهم جلوسٌ، فيهم أبو بكرٍ وعُمر رضي الله عنهما فلا يرفع أحد منهم إليه بصرَه إلا أبو بكرٍ وعمر فإنهما كانا ينظرانِ إليه وينظرُ إليهما ويبتسمان إليه ويبتسمُ إليهما"**[١٣١].

وعن أسامَة بن شَريكٍ رضي الله عنهما قال: **"كنا جلوساً عند رسولِ الله ﷺ كأنما على رؤوسِنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أُناس فقالوا: من أحبُّ عبادِ الله إلى الله تعالى؟ قال: أحسنهم خُلقاً"**.[١٣٢]

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: **"لقد كنت أريدُ أن أسأل رسولَ الله ﷺ عن الأمرِ فأؤخر سنتين من هيبته"**[١٣٣].

---

[١٣١] الترمذي.

[١٣٢] الطبراني وابن حبان.

أما محبتُهم إليهﷺ فقد جَعلها عليه الصلاة والسلامُ مهر الإيمان، فلا إيمان لمن لم يكن ﷺ أحَب إليه من مالِه وولدِه ونفسِه والناسِ أجمعين. فكانوا رضوانُ الله عليهم متيَّمين ﷺبحبه

عن عائشَة رضي الله عنها قالت: **"جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إنك لأحبُ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُ إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرتُ موتي وموتَكَ عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنة رُفعتَ مع النبيين، وأني إذا دخلت الجَنة خشيتُ أن لا أراك. فلم يردَّ عليه النبيُ ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلامُ بهذه الآية﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾**[١٣٤]"[١٣٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **"أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ، إني لأحبك حتى إني لأذكركَ فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أني إن دخلتُ الجنة صرتُ دونك في المنزلة فيشقُ ذلك عليَّ ، وأحبُ أن أكون معك في الدرجةِ. فلم يردَّ عليه ﷺ شيئاً حتى نزلت الآية فدعاه ﷺ فتلاها عليه"**[١٣٦].

وعن حُصينِ بنِ وَحْوَح الأنصاري: **"أن طَلحةَ بنَ البراءِ رضي الله عنهما لما لقي النبي ﷺ فجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه، قال: يا رسول الله مرني إن أحببتَ ولا**

---

[١٣٣] أبو يعلى.

[١٣٤] الآية 69 سورة النساء.

[١٣٥] الطبراني.

[١٣٦] الطبراني.

أعصي لك أمراً. فعجب لذلك النبي ﷺ وهو غلام، فقال له عند ذلك: اذهب فاقتل أباك، فخرج مولياً ليفعل فدعاه فقال له: أقبل فإني لم أُبعث بقطيعة رحم، فمرض طلحةُ بعد ذلك فأتاه النبيُ ﷺ يعودُه في الشتاء في برد وغيم فوجده مغمى عليه، فقال النبيُ ﷺ: ما أظن طلحةَ إلا مقبوضاً من ليلته، فإن أفاق فأرسلوا إلي ، فأفاق طلحةُ في جوف الليل فقال: ما عادني النبي ﷺ؟ قالوا: بلى، فأخبروه بما قال، فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعُه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فُقِدتُ فأقرءوه مني السلام، وقولوا له فليستغفر لي، فلما صلى النبي ﷺ الصبحَ سأل عنه فأخبروه بموتِه وبما قال، فرفع ﷺ يده وقال: اللهم القَ طلحةَ تضحكُ إليه ويضحك إليك"[١٣٧] .

مكانة الرسول ﷺ

إن رسول الله ﷺ جديرٌ بهذا الحب وزيادة، وجديرٌ بتلك الآدابِ السامية وزيادة.كيف لا وهو أولُ من يجوز الصراط بأمته يوم القيامة، وبنورِهِ تسير الأُمة وعلى محجته. وهو أولُ من برز للوجود من أنوارِ اللهِ الذاتية [١٣٨] . جاء في الفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي المكي ما نصه : أخرج عبدُ الرزاق بسندهِ **"عن جابرِ بن عبد اللهِ الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أولِ شيء خلقه اللهُ قبل الأشياء؟ فقال: يا جابرُ، إن الله خلق قبل الأشياء نورَ نبيك من نورهِ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرةِ حيث شاء**

[١٣٧] الطبراني.

[١٣٨] أَنْوَار الله الذَّاتِيَّة: الأَنوارُ المنْسُوبَةُ إِلى ذاتِ الله العَلِيّة نِسْبَةَ تَشْرِيفٍ وَتَخْصِيصٍ، تَمييزا لَهَا عَنْ سائِرِ الأَنْوارِ. كما يقال مثلا: عيسى عليه السلام «روح الله» تميزا له عن سائر الأرواح بخصوصية معينة. عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَن النَبِيِّ ﷺ: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيينَ فِي الخَلْقِ وَآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ » رواه ابن عدي فِي الكامل وأبو نعيم فِي الدلائل وغيرهم. وقالَ ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدلٌ فِي طينته » رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه.

الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوحٌ ولا قلمٌ ، ولا جنةٌ ولا نارٌ ، ولا ملكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا جنيٌ ولا إنسٌ"[١٣٩] .

وهو ﷺ أول الأنبياء في الخلق في عالم الأرواح، وآخرهم في البعث في عالم الأشباح. روى بن سعدٍ مرسلاً بإسنادٍ صحيح قوله ﷺ: **"كنتُ أول الناسِ في الخلق وآخرهم في البعث"**[١٤٠] فهو الفاتح وهو الخاتم.

وعن أبي هريرَة رضي الله عنه **"قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدمُ بينَ الروحِ والجسد"**[١٤١] .

وعن ميسرةَ الفجر قال: **"قلت: يا رسولَ الله متى كنت نبيًا؟ قال: كنت نبيًا وآدم بين الروحِ والجسد"**[١٤٢] .

وتواترتِ الرواياتُ عن أنه ﷺ أولُ شافعٍ، وأولُ مُشفَّعٍ . فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: **"قال رسول الله ﷺ: أنا سيدُ ولدِ آدَم يومَ القيامة ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍ يومئذٍ، آدمُ فمن سواهُ إلا تحت لوائي، وأنا أولُ من تنشقُ عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّع ولا فخر"**[١٤٣] .

---

[١٣٩] الحديث مذكور في "المواهب اللدنية" وغيره.

[١٤٠] رواه ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الدلائل وغيرهم.

[١٤١] قال الترمذي: حديث حسنٌ وصحيح ، ورواه أبو نعيم والبيهقيُ والحاكمُ وصححه، ورواه البزارُ والطبرانيُ وأبو نعيمٍ من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

[١٤٢] رواه الإمام أحمد ، والبخاري في التاريخ ، والطبرانيُ والحاكمُ وصححه ، وقال الحافظ الهيثمي في رجال أحمد والطبراني: رجالهما رجال الصحيح.

[١٤٣] الترمذي وأحمد وابن ماجة وغيرُه.

وهو ﷺ أولُ من يؤذَنُ له حين يستأذنُ على ربه ، وهو أولُ من يسجدُ لربه يوم القيامة . فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"أنا أولُ من يؤذنُ له يوم القيامة بالسجودِ ، وأولُ من يَرفعُ رأسه فأنظر بين يديّ فأعرفُ أمتي بين الأمم من خلفي مثلُ ذلك وعن يميني مثلُ ذلك وعن شمالي مثلُ ذلك. فقال الرجل : يا رسولَ الله، كيف تعرفُ أمتك من بين الأمم؟ فقال ﷺ: هم غرٌ محجلون من أثر الوضوء ليس أحدٌ كذلك غيرهم. وأعرفهم أنهم يؤتَوْن كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى ذريتُهم بين أيديهم"**[١٤٤] .

ولن يلج الجنة أحد قبله ﷺ، لحديث أنس رضي الله عنه قال: **"قال ﷺ: آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من؟ فأقول: محمد ، فيقول: بكَ أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك"**[١٤٥] .

تكريمه ﷺ

سؤال (2): ما معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ... ﴾[١٤٦].

---

[١٤٤] الإمام أحمد.

[١٤٥] مسلم والترمذي.

[١٤٦] ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ الآية 63 سورة النور.

جواب (2): يقول سيدنا الصاوي[١٤٧] في تفسير هذه الآية: (﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ ﴾ .. أي نداءه كنداء بعضكم بعضاً، بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير. يستفاد من الآية أنه لا يجوز نداءُ النبي ﷺ بغير ما يفيد التعظيم، لا في حياته ولا بعد وفاته).

وقال السَيوطي في «الإكليل في استنباط التنزيل» عند ذكره هذه الآية الكريمة: (تحريمُ ندائه باسمه، ووجوبُ تشريفه وتكريمه ليقال يا رسول الله ، يا نبي الله . والظاهر استمرار ذلك بعد وفاته).

وجاء في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (أنه ﷺ، وإن كان ذا أسماءٍ وكنى، لكن لا ينبغي أن ينادى بشيء من ها، فيَحرمُ نداؤهُ بها لقوله تعالى ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ... ﴾[١٤٨]، مثل: يا محمد ، ويا أحمد). وعن ابن عباس رضي الله عنهما، كانوا يقولون : يا أحمد، يا أبا القاسم، فنهاهم اللهُ عن ذلك ، وناداه الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، ولم يوجه الله له النداءَ باسمه ، فكيف بنا نحن!

---

[١٤٧] الصاوي: (1175 – 1241هـ) هُوَ العارف بالله، الإمام الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الصاوي، المصري، الخَلْوَتِيّ المالكي الأزهريرضي الله عنه.

[١٤٨] ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ الآية 63 سورة النور.

كلمة "سيّدي"

سؤال (3): بعنوان (أسئلة حول لفظ كلمة (سيّدي)). هل يجوز للمرء أن يقول لأخيه يا سيدي؟ وهل هي لرسول الله ﷺ من دون الناس؟ وهل يجوز إطلاق لفظ السيادة على أحد من خلق الله؟ وما هو حكم الشرع في ذلك؟

جواب (3): من التقديرِ الواجبِ لرسولِ الله ﷺ وصحابتهِ وأهلِ بيته وأولياءِ أمتهِ تكريمُهم بألفاظِ التقديرِ والرفعةِ، ومنها لفظُ السيادة التي ورثناها عن ساد اتنا الكرام وإخوانِنا في الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية. وقد رأى الإمام الشافعيُ أن ذكر اسمِ الرسول ﷺ بلا سيادة فيه من سوءِ الأدب ما يكفي، بل إن الإمام ابن عبد السلام أفتى في قضية الطالب الذي قال لا يزاد في الصلاة على رسول الله ﷺ ذكر سيدنا، بأن يؤدب في السجن، وبقي هناك حتى شُفِّع فيه فخلى سبيله، كما في كتاب «إكمال الإكمال».

والملفت للنظر أن الذين يذكرونَ الاسم الشريف مجرداً هم المستشرقون ومن لا خلاق لهم. فلا يجوزُ أبداً التشبهُ أيضاً بالكفار في ذكره ﷺ من غير السيادة، لأنهم هم الذين يذكرونَه باسمه مجرداً استهانة بقدره الشريف.

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن العظيم نجد أن الله تعالى ذكر السيادة للبشر، فامتدح سيدنا يحيى عليه الصلاة والسلامُ بقوله تعالى ﴿... وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[١٤٩]، بل إن القرآن الكريم ذكر لفظ السيادة في حق من لا يملكون الرفعة ، فقال في

---

[١٤٩] ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ الآية 39 سورة مريم.

سورةِ يوسف ﴿ ... وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ ... ﴾[١٥٠] ، والأمر نفسه ينطبق على لفظ المولى قال تعالى ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾[١٥١].

أما أولئك الذين يتعللون بالحديث الشريف (السيدُ الله...) فقد حَرموا أنفسهم من خير عميم لجهلهم بأمورِ دينهم، فقد ردَّ عليهم العارفُ بالله ابنُ عجيبةَ ، في حاشيته على «الجامع الصغير»، بأن الحديث يبيِّن أن الله هو الذي يحق له السيادة المطلقة على الكون، بمعنى المالك القاهر والمهيمن، لأنه سيد كل ذي سيادة، إذ الخلق كلهم عبيده، وأن رسول الله ﷺ قاله لَمَّا خوطب بما يخاطب به رؤساء القبائل من قومهم أنت سيدنا ومولانا (بالمعنى القبلي للسيادة) ، أنت سيد قريش. وكانوا قريبي عهد بالإسلام وأراد رسول الله ﷺ أن يمكِّن العقيدة في نفوسهم بأنَّ الخضوع التام هو للمالك الحقيقي، وهو الله سبحانه.

وقد نُقل عن الإمام مالك ﵁ امتناع إطلاق السيد على الله، إلا إذا أريد بيان هذا المعنى الذي قصده ﷺ. ولا شك بأن هذه الشبهة المثارة لا تحمل استدلالاً على عدم التسويد ، لأن القرآن ذكرها للبشر بحق سيدنا يحيى وبحق العزيز في قصة يوسف.

أما السنة النبوية فقد تواترت فيها الأحاديث في شرعية التسويد وإطلاقه على غير الله تعالى. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال **"لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلا يَقُولَنَّ الْمَمْلُوكُ: رَبِّي وَرَبَّتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي، كُلُّكُمْ مَمْلُوكُونَ، وَالرَّبُّ**

---

[١٥٠] ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الآية 25 سورة يوسف.

[١٥١] الآية 41 سورة الدخان.

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" [١٥٢]، وهذا يشير إلى أنهم كانوا يستخدمون لسادتهم لفظ (ربي) ، كما ذكر القرآن حكاية قولهم في سورة يوسف ﴿**ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ**...﴾[١٥٣]، فرهاهم الرسول ﷺ عن ذلك ، وأمرهم بإطلاق لفظ (سيدي وسيدتي) ، وفي رواية أبي داودَ أيضاً (وليقل سيدي ومولاي). فإذا كان هذا بالنسبة للعبد مع سيده فكيف لا يكون مع رسول الله ﷺ!

وكتبَ الشيخ محمد سليمان فرج رسالة بعنوان «دلائل المحبة وتعظيم المقام في الصلاة والسلام على سيد الأنام» بيَّن فيها وجوب ذكر لفظِ السيادة عند ذكرِ اسمه الشريف ﷺ، وذكر فيها عدداً من الأدلة الشرعية نسوق بعضها لإخواننا:

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ **"إن الله يقول للعبد يوم القيامة ألم أُكرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ"**[١٥٤]، أي أجعلُك سيداً. فهذا الامتنانُ من الله تعالى بنعمة السيادة يدلنا على أنها

---

[١٥٢] الأدب المفرد للبخاري، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، والطبراني، والبيهقي.

[١٥٣] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ الآية 42 سورة يوسف.

[١٥٤] نص الحديث عند مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، **أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ**، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ أَيْ فُلْ: **أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ** ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا قَالَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ

شرفٌ للإنسان، فكيف لا يكون أفضل الخلق جديراً بهذا الشرف. وبذلك يتجلى لنا أن من يقول إن السيادة لا تطلق إلا على الله سبحانه وتعالى فقط، لا يُعتدُّ بقوله لأنه مخالف لمنهج القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية. وكم من الصفات اشترك بها رسول الله ﷺ مع الله، تكون لله مطلقةً ولرسوله ولغيره مقيدةً، كاسمَيْ الرحيم والرؤوف، فهما من أسماء الله الحسنى وصفاته، إلا أن الله وصف بهما نبيه فقال ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[١٥٥]، لكما أن اسم السيد لم يرد في أسماء الله الحسنى.

وهناك أيضاً شبهة أخرى (أوردها صاحب الرسالة المشار إليها سابقا): (وهي ما يظنه بعض الناس حديثا نبوياً، وهو قولهم (لا تسيِّدوني في الصلاة)، فهو لا يصح نسبته لرسول الله ﷺ لأنه لحن فاحش، وخطأ لغوي لا تجوز نسبته لأفصح من نطق بالضاد ﷺ. لأن الفعل (سَيَّدَ) لم يرد في لغة العرب وإنما (سَوَّدَ). ولذلك أدرك بعض الناس هذا المعنى فقالوا إن الحديث يجب أن يكون بعبارة (لا تسوِّدوني في الصلاة)، ولكن هذا أيضاً أشد بطلانا، وكذبٌ وافتراءٌ على سيدنا رسولِ الله ﷺ، وقد أورده الكثير من المحدِّثين في الموضوعات التي وضعت كذباً على رسول الله ﷺ. قال بذلك السيوطي والحافظ السخاوي والإمام جلال الدين المحلي والشمس الرملي وابن حجر الهيثمي وبعض فقهاء الشافعية والمالكية والقاري في موضوعاته).

شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ".

[١٥٥] الآية 128 سورة التوبة.

وكذلك قولهم (لا تعظِّموني في المسجد) فإنه باطل أيضاً، وقيل لا أصل له. وقد جاء في «كشف الخطأ» للحافظ العجلوني ما نصه: (قال في المقاصد (أي السخاوي) لا أصل له). وقال الياجي في أوائل مولده المسمى «كنز العفاة» (بل إنه لو فرضنا مجرد احتمال وروده، مع أن هذا بعيد أشد البعد، ومع أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، ف إنه يمكن تأويله بما يناسب المقام كما أوّل العلماء حديث (السيد الله...)).

إن التزام الأدب معه ﷺ مقدمٌ على امتثال الأوامر، كما فعل سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما جاء سيدنا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر يؤم الناس فتأخر أبو بكر، فأمره أن يثبت مكانه فلم يمتثل، ثم سأله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة عن ذلك فأبدى له أنه فعل ذلك تأدباً معه ﷺ قائلاً: ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ. ولم ينكر الرسول ﷺ ذلك.

وكذلك التزام سيدنا علي بن أبي طالب الأدب دون امتثال الأمر حين كتب الكتاب للمصالحة في الحديبية، وكان فيه لفظ (رسولُ الله)، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب (محمد ابن عبد الله). فقال ﷺ إني رسول الله وإن كذبتموني، امحه (أمرٌ لعلي بمحو لفظ (رسول الله))، فقال سيدنا علي: والله لا أمحوه. ومحاه النبي ﷺ بيده الشريفة، ولم يُنكر على الإمام علي حُسن أدبه. قال العلماء المحققون: وهذا من الأدب المستحب. وكذلك زيادة لفظ السيد عند ذكر أسمائه ﷺ هو من الأدب المستحب، بل إن الأدلة الشرعية الآتية ترقى بذلك إلى درجة الوجوب.

ومن الأدب أيضا أن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أخّر الطواف لما دخل مكة في قصة صلح الحديبية ، مع علمه بوجوب الطواف على من دخل البيت الحرام، أدباً معه ﷺ أن يطوف قبله، وقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ. فلم ينكر عليه ﷺ بعد علمه ذلك.

وعن أبي سعيد ﷺ قال: **"قال رسول الله ﷺ: أنا سيدُ ولدِ آدَم يومَ القيامة ولا فخر ، وبيدي لواءُ الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍ يومئذٍ ، آدمُ فمن سواهُ إلا تحت لوائي ، وأنا أولُ من تنشقُ عنه الأرض ولا فخر ، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّع ولا فخر "**[١٥٦]، وقال ابن عباس: السيد: الكريم على ربه. وقال قتادة: السيد: الذي لا يغلبه غضبه.

وعن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ **"أنا سيدُ الناس يوم القيامة "**[١٥٧]. وذلك شامل لسيدنا آدم عليه السلام، لقوله ﷺ **"وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي "**[١٥٨]. ومما رواه الخطيب قوله ﷺ **"أنا إمام المسلمين وسيد المتقين"**[١٥٩] .

---

[١٥٦] الترمذي وأحمد وابن ماجة وغيرُه.

[١٥٧] الحديث: **أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**، يَدْعُونِي رَبِّي، فَأَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، تَبَارَكْتَ لَبَّيْكَ وَحَنَانَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ رَبَّ الْبَيْتِ، قَالَ: وَإِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ لَيَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ". المستدرك على الصحيحين. وقد أَخرجه مسلِمٌ شاهداً.

[١٥٨] الحديث عند الترمذي: عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، **وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي** ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، قال: فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون : أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول: إني أذنبت ذنبا أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحا، فيأتون نوحا فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ: ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ، ولكن ائتوا موسى، فيأتون موسى فيقول: إني قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى ، فيأتون عيسى فيقول : إني عبدت من دون الله ، ولكن ائتوا محمدا ، قال: فيأتونني فأنطلق معهم، قال ابن جدعان: قال أنس: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ قال: فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال : من هذا ؟ فيقال محمد ، فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون : مرحبا، فأخر ساجدا ، فيلهمني الله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذي قال الله : عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا . قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه

فهذه الأحاديث الصحيحة التي بلغت حد التواتر تدل دلالة لا لبس فيها على أن لفظ السيادة واجب على كل مسلمٍ محبٍ لرسول الله ﷺ. وكذلكَ لفظُ (مولى) للحديث الصحيح، قال ﷺ: **"من كنت مولاه فعليٌ مولاه "**[١٦٠]. وليس هذا فحسب، بل إن الصحابة الأجلاء وآل بيت رسول الله ﷺ الكرامَ الأطهار هم سادتنا، فقد روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قول رسول الله ﷺ للسيدة فاطمة رضي الله عنها **"يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سَيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة "**[١٦١]. فيجب علينا أن نذكر سيدتنا ومولاتنا

الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن أبي نضرة عن ابن عباس الحديث بطوله.

[١٥٩] الحديث: عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: مَرَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعِنْدَهُ عَائِشَةُ فَقَالَ لَهَا: "إِذَا سَرَّكِ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى سَيِّدِ الْعَرَبِ، فَانْظُرِي إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ ، فَقَالَ: "**أَنَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَسَيِّدُ الْمُتَّقِينَ**، إِذَا سَرَّكِ أَنْ تَنْظُرِي إِلَى سَيِّدِ الْعَرَبِ، فَانْظُرِي إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ". تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

[١٦٠] الحديث: عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ فِي بَعْضِ حَجَّاتِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدٌ فَذَكَرُوا عَلِيًّا فَنَالَ مِنْهُ، فَغَضِبَ سَعْدٌ، وَقَالَ: تَقُولُ هَذَا لِرَجُلٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**"، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي"، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ الْيَوْمَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ". رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي وابن ماجة.

[١٦١] **الحديث:** عَنْ مَسْرُوقٍ، حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ: إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادَرْ مِنَّا وَاحِدَةٌ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام تَمْشِي ، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى حُزْنَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ، فَإِذَا هِيَ تَضْحَكُ، فَقُلْتُ لَهَا: أَنَا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ ، خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالسِّرِّ مِنْ بَيْنِنَا، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا عَمَّا سَارَّكِ، قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ قُلْتُ لَهَا: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الْحَقِّ، لَمَّا أَخْبَرْتِنِي. قَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ، فَأَخْبَرَتْنِي، قَالَتْ: أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْأَمْرِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَنِي بِهِ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ

فاطمة بلفظ السيادة عند ذكرها دائماً. وكذلك سيُّدنا الحسن، فلقد روى الحسن بن علي ﵁ أنه سمع أبا بكرة قال **"بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، جَاءَ الْحَسَنُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ"** [١٦٢]. وأيضا سيُدنا ومولانا الحسين، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: **" الحسنُ والحسين سيدا شباب أهل الجنة"** [١٦٣].

كذلك ورد في حق سيدنا ومولانا أبي بكرٍ الصديق ﵁ وسيدنا ومولانا عمر ابن الخطاب ﵁ فيما رواه سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: **"أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا علي"** [١٦٤]. بل إن رسول الله ﷺ علَّم أصحابه ذلك المعنى بأجلى وضوح، فعن أبي أبي سعيدٍ الخدري ﵁ **"أنَّ أَهْلَ قُرَيْظَةَ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ قَالَ خَيْرِكُمْ، فَقَعَدَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، فَقَالَ: لَقَدْ حَكَمْتَ بِمَا حَكَمَ بِهِ الْمَلِكُ"** [١٦٥]. فهل بعد ذلك حُجَّة!؟

السَّلَفُ أَنَا لَكِ، قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، قَالَ: **يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ** ". البخاري ومسلم، واللفظ هنا للبخاري.

[١٦٢] البخاري.

[١٦٣] الترمذي وغيره، قال أبو عيسى: هذا حسن صحيح.

[١٦٤] الترمذي، وابن ماجة، وأحمد.

[١٦٥] البخاري ومسلم، واللفظ هنا للبخاري.

فإذا كانت هذه أخلاقُ الإسلام في معاملة أصحاب الفضل والعلم، فكيف تكون المعاملةُ مع أحب الخلق إلى الله ، وهو بمنزلة الأب الحقيقي للمؤمنين ، قال تعالى ﴿ **ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ** ... ﴾[166]، وكان الصحابة ينادون بعضهم بعضاً بهذا اللفظ الذي يشعر بالتكريم والإجلال، فقد روى الحاكمُ في المستدرك بسند صحيح **"أن أبا هريرةَ ﷺ لما ردَّ السلام على سيدنا الحسن قال : وعليك السلام يا سيدي. ثم قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول إنه سيِّد"**[167].

وما قاله الفاروق رضي الله عنه: (أبو بكرٍ سيدنا واعتق سيدنا) (أي سيدنا بلال) رضي الله عنه.

أما صيغة "سيدي" التي يتداولها إخواننا فيما بينهم فهي جائزة، قياسا على كل هذه الأدلة التي أوردناها، والتي سادت فيما بين سيدنا الصديق وسيدنا بلال، مع ما يحمله لفظ "سيدي" من التواضع وخفض الجناح الذي هو من أخلاق صالحي هذه الأمة.

وعن جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال **"سيدُ الشهداء حمزةُ بن عبد المطلب"**[168].

وأما الصلاة على النبي ﷺ بالصيغ الوارد ة عنه ﷺ، فقد قال المحققون يزاد فيها لفظُ السيادة سواء في الصلاة أو خارجها مستدلين بعمل سيدنا أبي بكر في المحرابِ ، وامتناع سيدنا

---

[166] ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦ ﴾ الآية 6 سورة الأحزاب.

[167] الحاكم في المستدرك.

[168] الحديث: عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**، وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ". المستدرك على الصحيحين.

علي في قصة الصحيفة ، وليس في ذلك مخالفة لرسول الله ﷺ لأن هناك قاعدتين: امتثال الأمر، والتزام الأدب، والأرجحُ التزامُ الأدبِ، وبهذا أفتى الإمام عز الدين بن عبد السلام وجماعةٌ من فقهاءِ الشافعية.

حُبُّ آل البيت الكرام

سؤال (4): لماذا يتعلق الصوفية بحب آل البيت، وهل في الشرع أدلة يُستند إليها؟

جواب (4): عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: "**خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحَّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال** ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾"[١٦٩]. وعن يزيد بن حيانَ قال: "**انطلقتُ أنا وحصينُ بن سُبْرَ ة وعمر بن مسلم إلى زيدِ بن أرقمَ ﷺ، فلما جلسنا إليه قال له حصينٌ : لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، رأيتَ رسولَ الله ﷺ وسمعتَ حديثه وغزوتَ معه وصليتَ خلفه ، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً. حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله لقد كبُرَتْ سني وقدِمَ عهدي ونسيتُ بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفونيه فيه ، ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا خطيباً بماءٍ يدعى خماً ، بينَ مكةَ والمدينة ، فحمد الله تعالى**

---

[١٦٩] ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ الآية 33 سورة الأحزاب.

وأثنى عليه ووعظَ وذكرَ ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين : أولهُما كتابُ اللهِ تعالى ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتابِ الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله عز وجل ورغَّب فيه ، ثم قال: وأهلُ بيتي، أذكّركُم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين ومَن أهلُ بيته يا زيد؟ أليس نساؤُه من أهل بيتهِ؟ قال: نساؤهُ من أهل بيته، ولكنَّ أهلَ بيته مَن حُرِمَ الصدقةَ بعده. قال ومن هم ؟ قال: هم آلُ عليٍ، وآلُ عقيلٍ، وآلُ جعفرٍ، وآلُ عباسٍ رضي الله عنهم. قال كل هؤلاء حُرِمَ الصدقةَ بعده؟ قال: نعم"[١٧٠].

وآية المباهلة هي دليلٌ آخرُ على تحديدِ آلِ بيتِ النبي ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾**﴾[١٧١] وفي تفسيرِ هذه الآيةِ ذكر الإمامُ القرطبيُ في الجامع لأحكام القرآن (أن النبي ﷺ جاءَ بالحسن والحسينِ، وفاطمةُ تمشي خلفه، وعليٌ خلفها، وهو يقول لهم: إن أنا دعوتُ فأمِّنوا).

وسببُ نزول هذه الآية، المباهلة (الملاعنة)، أن النصارى لما قدموا من نجران يحاجون في عيسى ويزعمون فيه من الألوهيةَ، فأنزلها الله تعالى رداً عليهم. وعن جابر رضي الله عنه قال: **"قدم على النبي ﷺ العاقبُ والسيد فدعاهما إلى الملاعنةِ فواعداه على أن يلاعناه الغداة. قال: فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا، وأقرا له بالخراج. قال: فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق لو قالا لا لأمطر**

---

[١٧٠] مسلم.

[١٧١] الآية 61 سورة آل عمران.

عليهما الوادي ناراً "[١٧٢]، قال جابرٌ وفيهم نزلت ﴿... نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ...﴾، قال جابرٌ: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ رسول اللهِ ﷺ وعليٌ بنُ أبي طالب، ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسنُ والحسين،﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة.

وفي الآية 23 من سورة الشورى يقول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[١٧٣]، قال البخاريُ وغيرهُ روايةً عن سعيد بن جبيرٍ ما معناه أنه قال (معنى ذلك أن تودوني في قرابتي أي تحسنوا إليهم وتبروهم). وفي تفسير ابن كثيرٍ قال ابنُ جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا مالكُ بن إسماعيل حدثنا عبد السلامُ حدثني يزيدُ عن أبي زيادٍ عن مقسمٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قالت الأنصارُ فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا، فقال ابن عباس أو العباس رضي الله عنهما (شكَ عبد السلام) لنا الفضلُ عليكم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجلسهم فقال (يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال ﷺ ألم تكونوا ضلالاً فهداكم اللهُ بي؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: أفلا تجيبوني ؟ قالوا ما نقول يا رسول الله؟ قال ألا تقولون : ألم يخرجكَ قومكَ فآويناك ، أولم يكذبوك فصدقناك ، أولم يخذلوك فنصرناك ، قال فما زال ﷺ يقول حتى جثوا على الركب وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله). قال فنزلت ﴿...قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ...﴾[١٧٤]، ويقال في هذه الآية معنى آخر هو (قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش: لا أسألكم على هذا البلاغِ والنصحِ لكم مالاً تعطونيه، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني ولا تؤذوني، وفيما بيني وبينكم القرابة). والذي يؤكد أن المعنى الأول الذي ذكرناه

---

[١٧٢] الحاكم في مستدركه، وقال صحيحٌ على شرط مسلم.

[١٧٣] الآية 23 سورة الشورى.

[١٧٤] الآية 23 سورة الشورى.

هو الأرجح هو أن سورة الشورى سورةٌ مكيةٌ إلا أن بعض رواة أسباب النزول ومنهم ابن عباس وقتادة قالوا أن الآيات 23و24و25و27 نزلت في المدينة ، وآية القربى من بين هذه الآيات، بمعنى أن هذه الآية نزلت في المدينة بعد الهجرة رداً على من تفاخر على المهاجرين ، لتطلب منهم أن يودوا رسول الله ﷺ في قرابته.

وقد ثبت في الصحيح عند البخاريُ عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه **"ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته"**[١٧٥] . ويقول ابن كثير وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم **"إني تاركٌ فيكم كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض"**[١٧٦] .

وقال الإمام أحمدُ حدثنا يزيدُ بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالدٍ عن يزيد بن أبي زيادٍ عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقيَ بعضهمُ بعضاً لقوهم ببشرٍ حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوهٍ لا نعرفها ، قال: فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً، وقال **"والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله"**، وفي رواية **"والله لا يدخل قلب امرءٍ مسلمٍ إيمانٌ حتى يحبكم لله ولقرابتي"**[١٧٧] .

ولقرابتي"[١٧٧] .

قال ابن القيم رحمه الله (فآله ﷺ لهم خواص منها حرمان الصدقة، ومنها أنهم لا يرثون، ومنها استحقاقهم خُمس الخُمس، ومنها اختصاصهمُ بالصلاةِ عليهم، وقد ثبت أن تحريم الصدقة واستحقاق خمس الخمس وعدم توريثهم مختص ببعض أقاربه ﷺ).

---

[١٧٥] البخاري.

[١٧٦] سبق قبل قليل ذكر نص الحديث كاملا كما هو عند مسلم.

[١٧٧] الإمام أحمد.

فعلى الذين يدّعون بأن تمجيد ومحبة آل البيت الكرام هو مذهب الشيعة فقط أن يتقوا الله تعالى ويتوبوا إليه، هم وأولئك الذين يوهمون الناس بأن النبي ﷺ لا أهل له ولا آل ، مستندين إلى قول الله تعالى﴿ ... **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** ... ﴾[178] . متجاهلين أن هذه الآية نزلت في نفي التبني، ولم تنزل لتنفي أن له ﷺ آل بيت كرام أُمرنا بالصلاة والسلام عليه وعليهم:

(اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم. في العالمين إنك حميد مجيد).

ونختم هذا الفصل بما نظمه الإمام الشافعي في مدح آل البيت:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ   فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكمُ من عظيم الشأن أنكمُ   من لم يصل عليكم لا صلاة له

التبرك

سؤال (5): ما هو حكم الإسلام في البركة والتبرك بالنبي ﷺ وآثاره، والصالحين وآثارهم؟ وهل في التبرك شبهة شرك؟

جواب (5): بركة رسول الله ﷺ وردت بها أحاديث كثيرة ، منها حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: "**رأيت رسول الله ﷺ وقد حانت صلاة العصر ، والتمسَ الناسُ الوضوء فلم**

[178] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الآية 40 سورة الأحزاب.

يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوضوءٍ، فوضع ﷺ يده في ذلك الإناء ، وأمر الناسَ أن يتوضئوا منه، فرأيتُ الماء ينبعُ من تحتِ أصابعه ، فتوضأَ الناسُ حتى توضئوا من عندِ آخرهم"[١٧٩] .

وعن معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: **"خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ جَمِيعًا، ثُمَّ دَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ، فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، حَتَّى آتِيَ ، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاء، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟ قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ لَهُمَا: مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، قَالَ: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ، قَالَ: وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا، فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، أَوَ قَالَ غَزِيرٍ (شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا)، قَالَ: حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ: يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا"**[١٨٠] .

أما التبرك بآثارِ الصالحين فهو جائز شرعا بالأدلة الشرعية التالية:

عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالِد اً بن الوليد رضي الله عنه فقد قلنسوة له يوم اليرموك ، فقال: اطلبوها، فلم يجدوها، فقال اطلبوها ، فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خَلقة (بالية) فقال

---

[١٧٩] أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه وكذلك مسلمٌ والترمذي والنسائي وأحمدُ رحمهم الله.

[١٨٠] مسلم.

خالد: (اعتمر رسول الله ﷺ، فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقت النصرة)[١٨١].

وأخرج ابنُ سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدٍ القاري: (أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه). وعنده أيضاً عن يزيد بن عبد الله بن قُسيط قال: (رأيتُ ناسًا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجدُ أخذوا برمانةِ المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون).

والتبرك هنا لم يكن بمادة الخشب وسواها، وإنما كان بما تمثله من آثار النبوة. ومن المعلوم أنه يجوز قصد الأماكنِ المباركةِ التي يستحبُ فيها الدعاءُ والتوجهُ، كالمساجد والبقاع التي لها خصوصية. ودليل ذلك ما يكون في مشاهد الحج واختيار أمكنة معينة فيه للدعاء والتعبد ونحوهِ. ومما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿...**وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ...﴾[١٨٢]، ونحن نرى الآن في بيت الله الحرام المقام منتصبا بين الإمام والكعبة، فهل في ذلك شرك!؟

ويؤيد ذلك حديثُ شد الرحال إلى المساجدِ الثلاثة، وقد صحَ عن عمرَ رضي الله عنه قولهُ (لو كان مسجد قباء في كذا لذهبنا إليه، للحديث الذي حث فيه رسول الله ﷺ على الوضوء في البيوت ثم المجيء إلى قباء).

---

[١٨١] الطبراني.

[١٨٢] ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ الآية 125 سورة البقرة.

وتجوز زيارة قبور الأنبياء والصالحين لالتماس العظة والعبرةِ والتبرك بهم جميعاً، فزيارةُ القبور مندوبةٌ، وزيارة قبورِ أهل الله من باب أولى ، لأن العظة والبركة عندهم أشد. أما الذين يستدلون بحديثِ رسول الله ﷺ **"لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى "**[183] في النهي عن زيارة قبور الأنبياء والصحابةِ والصالحين، فنقول بأن النهي جاء بعدم جواز شد الرحال والسفر إلا إلى المساجد الثلاثة. أما قبور الأنبياء والصحابة والصالحين فزيارتها مندوبة للعظة والبركة، ولا نهي في ذلك. فكلامه ﷺ في المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساوٍ في الفضل، فلا فائدة في التعب بالسفر إلى غيرها، أما هذه الثلاثة فلها مزيد فضلٍ، ولا دخل للمقابر في هذا الحديث، فإقحامها في هذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب على رسول الله ﷺ، على من يتحمله إثم الكذب عليه ﷺ. فنحن عندما نزور قبور الأنبياء والصحابة والصالحين لا نقصد شد الرحال إلى مساجدهم، إنما نقصد زيارة قبورهم ودعاء الله عز وجل من عندهم ، والتبرك بهم، كزيارتنا لأنبياء الله في حرم إبراهيم الخليل ، أو زيارتنا لساداتنا في مؤتة والأغوار والخليل ، وغيرها من الأماكن التي تعطرت تربتها وتشرفت بأجساد عز نظيرها.

وإذا كان هناك تشدد وريبةٌ في ذلك قديماً فلأنهم كانوا حديثي عهد بالشرك ، فخُشي أن تختلط الأمور عليهم، كما فعل رسول الله ﷺ في تحريم زيارة القبور ابتداءً، ثم قال بعد أن وضحت عقيدة التوحيد **"نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"**[184]. وما كان قطعُ عمرَ لشجرة

---

[183] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

[184] عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث فأمسكوا ما بدا لكم ، ونهيتكم عن النبيذ إلا في سقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تشربوا مسكرا. قال ابن نمير في روايته عن عبد الله بن بريدة عن أبيه (وكنت نهيتكم عن النبيذ) يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف إلا في سقاء ، أي إلا في قربة ، إنما استثناها لأن السقاء يبرد الماء فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في الظروف. مسلم.

البيعة إلا لمنع الشركِ الذي كان لا يزال متمكنا أو قريباً من النفوس، ولم يكن أبداً لمنع التبرك، وفرقٌ هائل بين الإشراك والتبرك الذي هو من تأكيد الإيمان بالله وقدرته، وهو من أدلة استمرار آثار العمل الصالح، وهو اجتهادٌ من عمر لسد الذريعة.

ولذلك وجدنا أن من أبرز الدلائل على مشروعية واستحباب التبرك به ﷺ وبآثاره الشريفة بعد وفاته، فضلاً عن حياته، ما فعله سيدنا أبو بكر الصديق لما طلب عند وفاته أن يدفن التماساً للبركة ورغبة في القرب بجوار النبي ﷺ، بل عند قدميه الشريفتين، كما ألحّ الخليفة الفاروق بنفسه بذلك.

جاء في صحيح البخاري (أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه استأذن أُمَّنا عائشة رضي الله عنها مرتين بعد أن طُعن أن يدفن بجوار المصطفى ﷺ، فمرة أرسل ابنه عبد الله ليقول لها : يستأذنك أمير المؤمنين عمر ، ثم قال له إذا أنا متُ فاذهبوا بجنازتي إلى بيتِ عائشة وقفوا بي على الباب ثم قولوا: يستأذن عمر، فإني عندها لم أعد أمير المؤمنين، فإن أذِنَتْ، وإلا فادفنوني في مقابر المسلمين). فما هو إذن سر إصرار هذين الجهبذين الشامخين على أن يدفنا بجوار الحبيب ﷺ سوى التماس بركته وقربه، وهو الذي قال فيهما "**اقتدوا باللذيْن من بعدي: أبي بكر وعمر**"[١٨٥] .

والتبرك بآثار الصالحين جائز، وقد نقل الحافظ العراقي في «فتح المتعال» بسنده أن الإمام أحمد بن حنبل أجاز تقبيل قبر النبي ﷺ وغيره تبركاً. وروي أن الإمام أحمد تبرك بالشرب من ماء غسل قميص الإمام الشافعي. وكان يأخذُ منها ما يمسح به وجهه وأعضاءه، كما ذكر أصحاب الطبقات وغيرهم.

---

[١٨٥] الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة والبخاري في تاريخه وغيرهم.

وفي تاريخ الخطيب أن الإمام الشافعي كان يتبرك بزيارة قبر الإمام أبي حنيفة مدةَ إقامته بالعراق.

وعن عبد الله، مولى أسماء بنت أبي بكر ، وكان خال ولد عطاء ، قال: "أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر فقالت بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة : العلم في الثوب ، وميثرة الأرجوان، وصوم رجب كله ، فقال لي عبد الله: أما ما ذكرت من رجب ، فكيف بمن يصوم الأبد ، وأما ما ذكرت من العلم في الثوب فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما يلبس الحرير من لا خلاق له) ، فخفت أن يكون العلم منه ، وأما ميثرة الأرجوان فهذه ميثرة عبدالله ، فإذا هي أرجوان ، فرجعت إلى أسماء فخبرتها فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ، فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج ، وفرجيها مكفوفين بالديباج ، فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قبضت ، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها "[١٨٦].

(الأرجوان) هو ضبغ أحمر شديد الحمرة ، وقيل هو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون . (جبة طيالسة) بإضافة جبة إلى طيالسة والطيالسة جمع طيلسان بفتح اللام على المشهور .
(كسروانية) بكسر الكاف وفتحها والسين ساكنة والراء مفتوحة ، وهو نسبة إلى كسرى صاحب العراق ملك الفرس. (لبنة) بكسر اللام وإسكان الباء، وهي رقعة في جيب القميص. (وفرجيها مكفوفين) ومعنى المكفوف أنه جعل لها كفة بضم الكاف ، وهي ما يكف به جوانبها ويعطف عليها، ويكون ذلك في الذيل وفي الفرجين وفي الكمين.

كذلك ثبت أن بلالاً ﷺ مرَّغ خديه على عتبات الحجرة النبوية باكيا بين يدي الصحابة يومَ عاد من الشامِ إلى المدينة. وسنرى ذلك في (فصل الزيارة النبوية). ولم يرد أن أحدًا من الصحابة الكرام أنكر عليه ولا على فاطمة فيما ورد عنها من التبرك بتربة القبر الشريف.

---

[١٨٦] مسلم.

آداب زيارة الرسول ﷺ

أولاً: مشروعية زيارته ﷺ:

من موجبات حُبّهِ ﷺ ومتممات فهم معاني حج بيت الله الحرام، زيارة رسول الله ﷺ، وأن هذه الزيارة لهي من أقرب الوسائل لنيل شفاعته ﷺ.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿... **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾**﴾[١٨٧]، وهذه الآية تُظهرُ كمالَ فضل زيارته، دون فرق بين قريب الدار وبعيدها، ولا بين زيارتهِ ﷺ في حياته ولا بعدَ وفاتِه، فإن من زاره بعد وفاتِه كمن زاره في حياته. وهي نصٌ طيبٌ للحثِّ على زيارتهِ والسفرِ إليه واستغفارِ الله من عنده وطلبِ شفاعته. وهذه الآية وإن كانت قد نزلت لسببٍ خاص إلا أن العبرةَ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السبب.

وفي آيةٍ أخرى يقول الله تعالى: ﴿... ۞ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾**﴾[١٨٨]. وهذه الآية وإن لم تكن نصاً في الزيارةِ إلا أنه، واستناداً

---

[١٨٧] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الآية 64 سورة النساء.

[١٨٨] ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ الآية 100 سورة النساء.

للقاعدةِ السابقة، فلا شكَّ أن زيارته ﷺ (لا سيما من الأماكنِ البعيدةِ) هي من الهجرة إلى الله ورسوله.

الأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بزيارته ﷺ:

عنه ﷺ قال: **"مَا مِن أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ، إلا ردَّ الله تبارك وتعالى عليَّ رُوحي، حتى أَرُدَّ عليه السلامَ"**[١٨٩].

عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من زارَ قبري، وَجَبَت لهُ شفاعَتي"**[١٩٠].

عن ابنِ عمرَ عن النبي ﷺ أنه قال: **"من جاءني زائراً، لا تحمله حاجةٌ إلا زيارتي، كان حقاً عليَّ أن أكونَ له شفيعاً يوم القيامة"**[١٩١].

عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: **"من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حياتي"**[١٩٢].

عن رجلٍ من آل الخطاب قال رسولُ الله ﷺ: **"من زارني متعمداً، كان في جواري يوم القيامة"**[١٩٣].

---

[١٨٩] أخرجهأبو داودَ بسندٍ صحيحٍ.

[١٩٠] رواه الدارقُطني والبيهقيُ.

[١٩١] رواه الطبراني والدارقُطني.

[١٩٢] رواه الدارقُطني في السننِ والطبرانيُ والبيهقيُ.

[١٩٣] رواه العُقيلي مرسلاً.

ومن المعروف والمعلومِ من هذه الأحاديثِ وأحاديثَ أخرى أنه ﷺ حيٌّ على الدوام، إذ من المُحَالِ أن يخلوَ الوجودُ كلُّه من واحدٍ يسلِّمُ عليه في ليلٍ أو نهارٍ. فنحن نؤمنُ ونصدقُ بأنه ﷺ حيٌّ يرزقُ، وأن جسدَه الأطهر لا تأكلهُ الأرضُ، وكذا سائرُ الأنبياء، والإجماعُ على هذا. وكذلك العلماءُ والمؤذنونَ والشهداء. وقد كُشِفَ عن أكثر من واحدٍ من العلماءِ العاملينَ والأولياءِ والشهداء فوجِدوا لم تتغير أجسادُهم. ﴿ **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾** ﴾[١٩٤].

ولمّا حفرَ معاويةُ رضي الله عنه العينَ التي استنبطها بالمدينة، وذلك بعد أُحدٍ بنحوِ خمسين سنة، ونقل الموتى، أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزةَ عمِّ رسولِ الله ﷺ فسالَ منها الدم.

وقد جمعَ البيهقيُ جزءاً في حياة الأنبياء في قبورِهم، واستدلَ بكثيرٍ من الأحاديث، أهمُّها الحديث الصحيح: "**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصلّون**"[١٩٥]، ويشهد له حديثُ مسلمٍ: "**مررتُ بموسى ليلةَ أسري بي عند الكثيبِ الأحمرِ، وهو قائمٌ يصلي في قبرِه**"[١٩٦]. وإمامَةُ رسولِ اللهِ ﷺ بالأنبياءِ ليلةَ الإسراء تشهد لهذا المعنى.

ومعنى قوله ﷺ: "**ردَّ اللهُ عليَّ روحي**"[١٩٧] أنه لا يُسلِّمُ عليه أحد من زائريه إلا في حال كون روحهِ الطاهِرة مردودةً إليه، وهي قطعاً لا تفارقهُ أبداً، ولكن على غيرِ الصورةِ التي يعهدُها الناس ويألفونَها في هذه الحياة، فهم أحياءٌ عند ربهم كما الشهداء. ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟**

---

[١٩٤] الآية 154 سورة البقرة.

[١٩٥] أبو يعلى، والبيهقى فى حياة الأنبياء، وتمام، وابن عساكر عن أنس.

[١٩٦] أخرجه مسلم.

[١٩٧] أبو داود ، والبيهقى عن أبى هريرة.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩﴾[١٩٨] . وثبوتُ حياةِ الأنبياء من بابٍ أولى، وذلك مسلَّمٌ به منطقاً وعقلاً، وإن شوهدت أجسادُهم في قبورِهم خاليةً منها عاريةً عنها، مَثَلهُم في ذلك مَثَلُ النائمِ يَغَطُّ في نومه، وهو يشاهد عجائبَ في الملكوتِ، ويكتسبُ أسراراً ينتفع بها، ويحدثك عنها بعدَ يقظته من نومه. ومعلومٌ أنه لا يخلو وقتٌ من الأوقاتِ، ولا لحظة من اللحظات، إلا وكثيرٌ من أمته يصلّون ويسلّمون عليه في صلواتِهم وغيرها، ويصلُهُ علم ذلك بواسطة الملَك الذي يبلّغه صلاة أمتهِ وسلامَها عليه، فيدعو لمن يصلي عليه، ويَرُدُّ السلامَ على من يسلِّمُ عليه منهم.

ويُشرع شدُ الرحالِ إلى مسجده، الذي شَرُفَ بوجود قبره ﷺ فيه. قال عليه الصلاة والسلام: "**لا تُشَدُ الرِحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**"[١٩٩] . والحديث صريح في اعتبارِ أن المسجد إنما شَرُفَ بنسبته إلى رسول الله ﷺ.

عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه، قصةُ نزول بلالِ بن رباحٍ في داريّا بعدَ فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس، قال: "ثم إن بلالاً رأى النبي ﷺ وهو يقول له: ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟ فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته، وقصدَ المدينةَ، فأتى قبرَ النبي ﷺ، فجعلَ يبكي عندهُ ومرّغ وجهه عليه ، فأقبل الحسنُ والحسينُ، فجعل يضمهما ويقبلهما فقالا: نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد ، فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلما أن قال الله أكبر، ارتجت المدينة، فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله، ازدادت رجتها، فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خُدورهن،

---

[١٩٨] الآية 169 سورة آل عمران.

[١٩٩] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وقالوا بُعث رسول الله ﷺ. فما رُئي يومٌ أكثر باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم"[٢٠٠].

فليعلم المرءُ أن من أعظم فضائِل زيارته ﷺ، أنَّ زائره إذا صلَّى وسلَّم عليه عند قبره، سمعه سماعاً حقيقياً، ورد عليه من غير واسطة، بخلاف من يصلِّي أو يسلِّم عليه من بُعد، فإن ذلك لا يبلغه ولا يسمعه إلا بواسطة. والدليل على ذلك ما جاءَ عنه ﷺ بسند جيد: **"من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ من بُعد أُعلمته "**[٢٠١]. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ما من عبد، يُسلَّم عليَّ عند قبري، إلا وكَّل الله بها ملكاً يبلغني، وكفى أمر آخرته ودنياه، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة "**[٢٠٢]. وعنه ﷺ قال: **"من أفضل أيامكم يوم الجمعةِ، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ. قالوا يا رسول الله وكيف تُعرضُ صلاتُنَا عليك وقد أرمت (يعني بليت)؟ قال إن الله ﷻ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء"**[٢٠٣].

إن الأنبياء بحقّ أحياءٌ في قبورهم. ويُسنُّ السلام عليهم عند قبورهم ومع البعد عنها، وقد جاء عن ابن المسيّب ما يثبت ذلك، وهو أن يزيد بن معاوية لما حاصر المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وقتل من أهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن إقامة الصلاة فيه مدة، قال ابنُ المسيّب: (كنت فيه، وما كنتُ أعلم دخول الأوقات، إلا بسماع

---

[٢٠٠] رواه ابنُ عساكرَ بسندٍ جيد.

[٢٠١] أبو الشيخ عن أبي هريرة.

[٢٠٢] رواه البيهقي في الشعب.

[٢٠٣] أخرجهابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم ، وقال هذا حديث حسن صحيح على شرط البخاري، وصححه النووي في أذكاره.

الأذان والإقامة من داخل القبر المكرم). ومما يثبت حياتهم البرزخية أيضاً قوله ﷺ: **"مررتُ بموسى ليلة أسري بي، وهو قائم يصلي في قبره "**[٢٠٤]. ثم لنعلم بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة.

ولنتيقن ونحن نقف بين يدي رسول الله ﷺ، أنه حيٌ يَسمعُ صوتنا وتوسُّلنا وشغفنا به، وسؤالنا منه أن يشفع لنا إلى ربه، حتى يرضى عنا، ويعطينا ما هو أهله، من خيري الدنيا والآخرة.

وليعلم الزائر أيضاً، أنه يُستحب لمن زار النبي ﷺ، أن يقف للدعاء مستقبلاً القبر الشريف، فيسأل الله تعالى ما يشاء من الخير والفضل، ولا يلزمه أن يتوجه إلى القبلة، ولا يكون بوقوفه ذلك مخالفاً للشرع، وقد نص العلماء على هذا الأمر، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب. والأصل في هذا الباب هو قصة الإمام مالك بن أنسٍ، لما ناظره أبو جعفر المنصور في المسجد النبوي، إلى أن قال أبو جعفر: يا أبا عبد الله، أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟. فقال الإمام مالكٌ: ولِمَ تصرفُ وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة!؟ بل استقبله واستشفع به فيشفّعه الله. وذكر الآية: ﴿ ... **وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤** ﴾[٢٠٥].

---

[٢٠٤] أبو نعيم فى الحلية عن أنس.

[٢٠٥] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ ﴾ الآية 64 سورة النساء.

ثم تأمل معي حرص الرسول ﷺ على أمته حتى بعد وفاته. حدثنا أبو النعمان، حدثنا سعيد بن زيد، حدثنا عمرُ بنُ مالكٍ النكري، حدثنا أبو الجوزاء أوس بن عبد الله قال: (قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ، فاجعلوا منه كوّة إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، قال: ففعلوا، فمُطرنا مطرًا، حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، وتفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق) [٢٠٦]. فهذه القصة، تدفع دعوى كل المنكرين لحياته في قبره الشريف ﷺ، وتثبت أن النبي ﷺ يهتمُّ بأمته في قبره حتى بعد وفاته. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وأضع ثيابي، وأقول إنما هو زوجي وأبي. فلما دفن عمر معهما، فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة حياءً من عمر) [٢٠٧]. ولم تعمل عائشة هذا باطلاً، بل هي تعلم أن النبي ﷺ وصاحبيه يعلمان مَنْ عند قبورهم.

ثانياً: آداب الزائر:

على الزائر إذا أراد زيارة النبي ﷺ إخلاص النية لله، وينوي التقرب بالزيارة، ويعزم السفر، ويزداد بالعزم شوقاً وشغفاً وحباً لقربه ﷺ، وكلما ازداد دُنُوّاً من طيبة ازداد غراماً وحُنُوّاً، إذ مَن لازم حبه ﷺ كَثُر شوقه إليه.

ثم في الطريق أكثَرَ من الصلاة والتسليم على النبي ﷺ وأشغَلَ معظم وقته في ذلك وغيره من القربات، ثم إذا دنا من حرم المدينة المنورة فليزدد خضوعاً وخشوعاً، ويستشعر قبوله، ويستشعر استقبال رسول الله ﷺ له في حِماه وحرمه، مما يدفعه لزيادة الصلاة والسلام وترديدهما، حتى إذا بلغ حرم المدينة، فليقل بعد الصلاة والتسليم: (اللهم إن هذا هو الحرم

---

[٢٠٦] قال الإمام الحافظ الدارمي في كتابه «السنن» (باب ما أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته).

[٢٠٧] رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين.

الذي حرمته على لسان حبيبك ورسولك ﷺ، فحرِّمني على النار، وأمِّني من عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك).

ثم يغتسل ويلبس أنظف ثيابه ويتطيب، ثم إذا تراءت له القبة الخضراء، فليستحضر عظمتها وتفضيلها، وأنها البقعة الشريفة التي تُظل جسد أشرف خلق الله كلهم.

ثم تراب طيبة، يتمثله في خاطره، ويتمثل مواقع أقدامه الشريفة، عند تردده عليه جيئةً وذهاباً، وأنه ربما يطأ تراباً وطأه ﷺ بقدمه الشريفة، مع خشوعه وسكينته، ثم ليحذر أن يُحبط الله عمله، بسوء أدبه في مدينة رسول الله ﷺ وحرمه، وليسأل الله تعالى أن يهبه لقاء نبيه في الدنيا قبل الآخرة.

ثم يُستحب له أن يُقدم صدقة بين يدي نجواه، قبل الدخول على رسول الله ﷺ، ثم ليقع في خاطره أنه على أرض، هي محطّ نظر الله ورعايته، وأنه آتي مهبط أبي الفتوح جبريل، ومنزل أبي الغنائم ميكائيل، وموضع الوحي والتنزيل، فليُمسك قلبه بيديه داعياً إياه للخشوع والخضوع، ثم ليفرغ قلبه وليصفي ضميره (فقلبك بيت المالك، وهو أغيرُ منك ياسالك)[٢٠٨].

ثمّ إذا صار في المسجد، سلَّم على رسول الله ﷺ عن بُعد، ثم لينوي الاعتكاف وإن قلّ زمانه، ثم يتوجه إلى الروضة الشريفة خاشعاً غاضاً طرفه، غير مشغول بالنظر إلى شيءٍ من زينة المسجد وغيره، وهذا مقتل فليحذر، مستحضراً هيبة ووفاء رسول الله ﷺ، مقبلاً بانكسار وخضوع وافتقار، فيقف في الروضة الشريفة مُصلَّى الحبيب ﷺ إن استطاع، وإلا ففي المكان الأقرب، ويصلِّي التحية ركعتين خفيفتين يقرأ فيهما: (قل يا أيها الكافرون) والإخلاص، وليسجد بعدها سجدة شكر خالصة لله تعالى، أن مكّنه من الزيارة، وليحذر رفع الصوت في المسجد: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ

[٢٠٨] النصائح الرحمانية لسيدنا عبد الرحمن الشريف.

كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾[٢٠٩].

قال عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه لرجلين من أهل الطائف: (لو كنتما من أهلِ البلدِ لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجدِ رسول الله ﷺ)[٢١٠]. وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (لا ينبغي رفعُ الصوت على النبي لا حياً ولا ميتاً). وأن عائشة رضي الله عنها: (كانت إذا وُتِدَ الوتد، أو ضرب المسمارُ، في بعض الدور المطيفةِ بالمسجدِ النبوي الشريف، ترسلُ إليهم، أن لا تؤذوا رسول الله ﷺ).

ثم اعلم أنه ﷺ يتأذى ممن لا يراعي كمال الأدب معه، لأنه ﷺ حيٌّ في الدارين. ثم يتوجه إلى الحجرة الطاهرة المطهرة، مستعيناً بالله مستحضراً الأدب بهذا الموقف المهيب، غاضاً طرفه واضعاً يمينه على شماله مستقبلاً الوجه الشريف. وليست هنالك صيغة محددة للسلام عليه ﷺ، فللزائر أن يأتيَ بالصيغة التي يشاء، ويكفيه أن يقول: السلام عليك يا رسول الله، وله أن يأتي بكل أنواع التمجيد والمديح وذكر فضائله ﷺ بالصيغة التي يريد. ثم يقول: السلام عليك يا أبا بكرٍ الصديق، وله أن يأتي بذكر مناقبه رضي الله عنه. ثم يقول: السلام عليك يا أبا حفصٍ عمر، وله أن يأتي بذكر مناقبه رضي الله عنه.

وإذا وقف بين يدي رسول الله ﷺ فليستحضر زيارته واستقباله له، كما لو كان يزورهُ حياً، ولا يقترب من قبره إلا كما يقتربُ منه لو كان على وجه الأرض، ثم ليغض الطرف وليحذر أن يشتغل فكره ونظره بشيء من زينة المكانِ، فإنه ﷺ كما قال الإمام الغزالي: (عالمٌ

---

[٢٠٩] الآيتان 2 و 3 سورة الحجرات.

[٢١٠] البخاري.

بحضورك وقيامك وزيارتك له، فمثّل صورته الكريمة في خيالِكَ، موضوعاً في اللحدِ بإزائِك، وأحضر عظيمَ رتبته في قلبك).

وإياك إياك أن تستدبرَ القبر، لا في الصلاة ولا في غيرها. وابتعد عن ذاك المكان وقت الصلاة ولا تُصَلِّ إلى القبر، فلا تجعل حجرته الشريفة وراء ظهرك ولا بين يديك. ولتكن زيارتُك بإطراقٍ كاملٍ واحترامٍ. وإياك أن تخوض فيما نهيتَ عنه في مجلسه، وإن رأيت نفسك تنزلق لذلك، فاخرج من المكان حالاً، لأن ذلك خير لك.

ثم إذا مررت بالحجرةِ الشريفةِ، ولو من خارج المسجدِ فقف وسلِّم. حدَّث أبو حازم: (أن رجلاً أتاه فحدَّثه، أنه رأى النبي ﷺ يقول لأبي حازم: (أنت المارُّ بي، معرِضاً لا تقف تسلِّم عليّ!) فلم يدع ذلك أبو حازم منذ بلغته الرؤيا)[٢١١].

وعليه أن يكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ، وأن يحرص على أداء الصلوات الخمسِ في المسجدِ جماعةً، لقوله ﷺ: **"صلاةٌ في مسجدي هذا، أفضل من ألفِ صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام"**[٢١٢]. وهذا التفضيل يعمُّ الفرض والنفل لله، كما قال النووي: (وهذا التفضيلُ أيضاً يعمُّ المسجد القديمَ، وما أضيفَ إليه من جديدٍ الآن وقبل الآن)، فقد رُوي ﷺ أنه قال: **"لو بني هذا المسجد إلى صنعاء، كان مسجدي"**[٢١٣]. ثم ليكثر الصلاة في روضته الشريفة، لقوله ﷺ: **"ما بين قبري ومنبري، روضة من رياض الجنة"**[٢١٤]، شريطة أن لا يُزاحم ولا يُؤذي أحداً، حتى لا يخرج عن أدب الزيارة، من الصمت والتسامح. ويستحبُ له ختم القرآنِ العظيمِ

---

[٢١١] حدَّث به أبو حازم.

[٢١٢] رواه البخاري.

[٢١٣] رواه ابن حجر عن أبي هريرة.

[٢١٤] أحمد، وأبو يعلى، والضياء عن أبى سعيد. البيهقى فى شعب الإيمان، والخطيب، وابن عساكر عن جابر بن عبد الله. الخطيب، وابن عساكر عن سعد بن أبى وقاص.

فيه، لما أخرج سعيدُ بنُ منصور عن أبي مخلد قال: كانوا يُحبون لمن أتى المساجد الثلاثة، أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج، قال المجد: (ويُديم النظر إلى الحجرة الشريفة، فإنه عبادةٌ قياساً على الكعبة، وإذا كان خارج المسجد أدام النظر إلى القبة الخضراء).

ثم يُستحبُ له الخروجُ إلى البقيع، بعد السلامِ على النبي ﷺ قائلاً: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنّا إن شاء الله تعالى بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم. ثم يُبقي حالة قلبه وخشوعِه وانكساره طيلةَ إقامته في المدينة. ويُستحب له أن يتصدق فيها ما أمكنه. وإذا نوى العودةَ إلى دياره، أو التوجه إلى مكة فليودع الحرمَ بركعتين بالمصلى النبوي أو ما قرُبَ منه، ويدعو بما شاء ثم يقول: اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا المحل الشريف. ويأتي الحجرة الطاهرة، ويسلم ويدعو بما تقدم، ثم يعود القهقرى متألماً حزيناً على الفراق، ساكباً العبرات متصعداً الزفرات، متعلق القلب بالعودة لتلك الديار. معاهداً الله تعالى على طاعته على الدوام والتزام أمره وأمر نبيه ﷺ، محافظاً على ما عاهد الله عليه، غير ناكث ولا مفرِّط.

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه فطابت من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
(الأعرابي صاحب العتبي)

ثالثاً: أدعية الزيارة:

دعاء زيارة الرسول ﷺ:

يأتي الزائر قبر النبي ﷺ، ويقف من بعد، لما فيه من الأدب والاحترام ويقول:

السلام عليك أيها النبيّ، ورحمة الله وبركاته. الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله. الصلاة والسلام عليك يا نبي الرحمة. الصلاة والسلام عليك يا خير خلق

الله. الصلاة والسلام عليك يا من أرسله الله رحمة للعالمين. الصلاة والسلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجَّلين. الصلاة والسلام عليك يا من وصفه الله بقوله: وإنك لعلى خلق عظيم. وبالمؤمنين رؤوف رحيم. السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين. السلام على أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات، أمهات المؤمنين. السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين وعباد الله الصالحين.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه.

وأشهد أنك قد بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت عدوك، وهديت أمتك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين.

فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين. اللهم اجز عنا نبينا، أفضل ما جزيت أحداً من النبيين والمرسلين. اللهم آته الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، والحمد لله رب العالمين.

وإن أوصاه أحد بالسلام قال: السلام عليك يا رسول الله من فلان، ونحوه.

ثم يتأخر قدر ذراع تجاه الشرق، ويسلم على سيدنا أبي بكر الصديق ﵁. لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ورأس عمر ﵁ عند منكب أبي بكر ﵁. ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق ﵁.

الدعاء عند زيارة الصديق ﷺ:

يتأخر الزائر قدر ذراع ويقول:

السلام عليك يا خليفة رسول الله أبا بكر الصديق. السلام عليك يا من قال في حقك رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، أنت عتيق الله من النار. السلام عليك يا صاحب رسول الله، وثاني اثنين إذ هما في الغار. السلام عليك يا من أنفق ماله كله، في حبّ الله وحبّ رسوله.

جزاك الله عن أمة رسول الله خير الجزاء. اللهم ارض عنه، وارفع درجته، وأكرم مقامه، واجزل ثوابه، بفضلك وكرمك آمين.

الدعاء عند زيارة الفاروق ﷺ:

ثم ينتقل إلى يمينه (تجاه الشرق) قدر ذراع، ويسلِّم على عمر بن الخطاب ﷺ ويقول:

السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. السلام عليك يا من قال في حقك رسول الله : ﷺ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة. وقال أيضاً: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر. السلام عليك يا أبا الفقراء والضعفاء والأرامل والأيتام. جزاك الله عن أمة رسول الله خير الجزاء. اللهم ارض عنه وارفع درجته وأكرم مقامه. وأجزل ثوابه بفضلك وكرمك آمين.

ثم يستقبل القبلة ويحمد الله ﷻ ويمجِّده ويكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول:

اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: ﴿ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ

﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[215]. **اللهم إنا قد سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، وقصدنا نبيك، متشفعين به إليك في ذنوبنا، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبين من زللنا، معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهم علينا، وشفع نبيك فينا، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك.**

اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. اللهم ولا تجعله آخر العهد من قبر نبيك، ومن حرمه، يا أرحم الراحمين (ثلاثا).

الدعاء في الروضة الشريفة:

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين، ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ: **"ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي"**[216].

ثم يستقبل القبلة فيحمد الله تعالى، ويثني عليه، ويصلي على النبي ﷺ، ويدعو لنفسه ولوالديه ولأقاربه ولإخوانه، ولمن أوصاه بالدعاء ولسائر المسلمين، ويقول:

اللهم إني أسألك أن تُشفِّع فيَّ نبيك ورسولك محمداً ﷺ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وأن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن جاءه في حياته. اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الأولين والآخرين، بمنّك وكرمك يا

---

[215] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ الآية 64 سورة النساء.

[216] أحمد، وأبو يعلى، والضياء عن أبي سعيد. البيهقى فى شعب الإيمان، والخطيب، وابن عساكر عن جابر بن عبد الله. الخطيب، وابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص.

أكرم الأكرمين. اللهم إني أسألك إيماناً كاملاً، ويقيناً صادقاً، حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي، وعلماً نافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً ورزقاً واسعاً وحلالاً طيباً وعملاً صالحاً مقبولاً وتجارة لن تبور.

اللهم اشرح صدورنا، واستر عيوبنا، واغفر ذنوبنا وآمن خوفنا واختم بالصالحات أعمالنا. اللهم آمنا في أوطاننا، وانصرنا على من عادانا.

اللهم أنجز لنا ما وعدت نبيك من نصرك لأوليائك. اللهم أعد المسجد الأقصى إلى حوزة المسلمين، وارزقنا فيه صلاة قبل الممات يا رب العالمين.

اللهم تقبل زيارتنا وردنا إلى أهلنا وأولادنا سالمين غانمين، واجعلنا من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا. وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

رب اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿ ... **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾** ﴾[٢١٧]. وقد جئنا من بلاد بعيدة، بذنوب كثيرة، ضيوفاً عليك في بلدك الحرام، وجئنا لزيارة نبيك خير الأنام. اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً. أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو

---

[٢١٧] ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الآية 64 سورة النساء.

الحي القيوم، بديع السموات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي وأتوب إليك.

اللهم إني أستغفرك مما قدمت وأخرت، وما أعلنت وما أسررت، وما أنت أعلم به مني. أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت منه ثم عدت إليه. أستغفرك مما أردت به وجهك الكريم، فخالطني فيه ما ليس لك به رضا. أستغفرك لما دعاني إليه الهوى.

أستغفرك من النعم التي أنعمت بها عليّ، فاستعنت بها على معاصيك.

أستغفرك من الذنوب التي لا يطلع عليها أحد سواك، ولا ينجّي منها أحدٌ غيرك، ولا يسعها إلا حلمك، ولا ينجّي منها إلا عفوك. ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

زيارة البقيع:

وهو مدافن أهل المدينة المنورة، منذ زمن الرسول ﷺ إلى اليوم، وفيه ما يقرب من عشرة آلاف صحابي رضي الله عنهم. وتستحب زيارته بعد زيارة رسول الله ﷺ، وفيه قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن عليّ رضي الله عنهما، وقبر علي زين العابدين بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعغر بن محمد رضي الله عنهم، وفيه قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وفيه قبور عمات رسول الله ﷺ.

وعند دخول الزائر البقيع، يقول كما كان رسول الله ﷺ يقول:

السلام عليكم دار قوم مؤمنين. أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. يغفر الله لنا ولكم، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين. اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد.

زيارة أحد:

يستحب للزائر أن يأتي أُحداً يوم الخميس، ويزور قبور الشهداء، مستذكراً تضحياتهم وجهادهم، وفيه قبر سيد الشهداء حمزة عمّ رسول الله ﷺ.

زيارة قباء:

يستحب للزائر أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: (من خرج من بيته، حتى يأتي قباء ويصلي فيه، كان له عدل عمرة)[٢١٨].

انتهاء الزيارة:

إذا عزم الزائر على الخروج من المدينة، يستحب له أن يأتي القبر الشريف، ويُعيد دعاء الزيارة كما سبق، ويودع رسول الله ﷺ، ويستأذن بالدخول على الله في بلده الحرام، لأداء العمرة أو الحج، ويسأل الله ﷻ أن يرزقه العودة إليه، ويسأل الله السلامة في سفره.

ويخرج من الحرم قائلاً:

اللهم صل على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، ولا تجعله آخر العهد بنبيك، وحطَّ أوزاري بزيارته، وأصحبني في سفري السلامة، ويسِّر رجوعي إلى أهلي ووطني سالماً يا أرحم الراحمين.

---

[٢١٨] أخرجه النسائي وابن ماجه باسناد صحيح.

الباب الخامس: منهج الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية في العمل

الصحبة

يقول الله تعالى في وصف من لا صاحب له ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١ ﴾[٢١٩]، ولفظ الحميم لغة يشبه لفظ الهميم ، وبينهما علاقة واضحة من حيث المعنى إلا أن الهاء أبدلت حاءً لقرب مخرجهما ، إذ هما من حروف الحلق، والهميم مأخوذ من الاهتمام، أي يهتم بأمر أخيه، فالاهتمام بمهم الصديق حقيقةُ الصداقة.

قد عرفنا فيما مضى أن التصوف ليس ابتداعاً أو منهاجاً جديداً للتطبيق، إنما هـ و تطبيق عملي للشرع قولاً وعملاً وأخلاقاً، ويُعْنى بإصلاح ظاهر السالك وباطنه، وأن الشيخ المربي لا يكتفي بتعليم مريده أمور دينه بصورة نظرية بحتة، وإنما يأخذ بيده لتطبيق أحكام الشرع عملياً، يثني عليه إذا أحسن، وينبهه إذا زل، ويتفقده إذا غاب، ويذكِّره إذا نسي، ويزكي قلبه إذا قسا، ويحفزه إذا فتر ويحنو عليه، ويحبه محبة الوالد لولده، وهو يقصد بذلك وجه الله تعالى.

والصحبة أمر مطلوب في المسير إلى الله تعالى، وقد حث الله تعالى عليها حين قال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩ ﴾[٢٢٠]، والصادقون هم نخبة مختارة في المجتمع المسلم ذكرهم الله تعالى بقوله ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟

---

[٢١٩] الآيتان 100 و 101 سورة الشعراء.

[٢٢٠] الآية 119 سورة التوبة.

﴿... ٱللَّهَ عَلَيۡهِ...﴾[٢٢١]، ثم حث الله تعالى رجال نبيه على ملازمة أهل الصفة من فقراء المسلمين المسلمين الذين كانوا على صفة المسجد النبوي ، فقال تعالى ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[٢٢٢]، ثم خاطب الله نبيه ليعلمنا ويرشدنا فقال ﴿ ...وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ... ﴾[٢٢٣]، ثم يبين الله تعالى خسران وضلال الظالمين الذين لم يتخذوا لأنفسهم صاحب صدق، وإنما اتخذوا رفاق وأخلاء السوء، قال تعالى﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾[٢٢٤].

---

[٢٢١] ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية 23 سورة الأحزاب.

[٢٢٢] الآية 128 سورة الكهف.

[٢٢٣] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية 15 سورة لقمان.

[٢٢٤] الآيات 27 – 29 سورة الفرقان.

ثم يبين الله تعالى أن كل العلاقات يوم القيامة بين الناس علاقات عداء ، حتى بين المتحابين في الدنيا إلا بين المتقين، فإنهم يأتون يوم القيامة أخلاء متحابين كما كانوا في الدنيا ، قال تعالى﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[٢٢٥].

ثم حث تعالى على ولوج أبواب أهل المعرفة لمعرفة طرق الوصول إلى رضى الله ورحمته فقال تعالى﴿ ... ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[٢٢٦].

فالصحبة إذاً إما أن تكون مع أهل الفساد والضلال ، فيهوي معهم إلى دركهم، وإما أن تكون مع أهل الإيمان والتقوى ومعرفة الله، فيعلو معهم إلى علاهم، ويكتسب منهم الصفات الحميدة ومعرفة الله، ويداوي بهم عيوب وآفات نفسه. ويكفي أن نعلم أن الصحابة لم ينالوا هذه الرتبة إلا بصحبتهم لرسول الله ﷺ ومجالستهم له، وكذلك التابعون لم ينالوا هذه الرتبة إلا بصحبة صحابة رسول الله ﷺ، وكذلك الأمر حتى قيام الساعة بصحبة من أخذوا المعرفة بالتلقي كابراً عن كابر حتى رسول الله ﷺ.

سؤال (1): بعنوان (ضرورة اتباع شيخ أو طريقة) . إذا قام المسلم بواجباته وراقب الحلال والحرام هل هو بحاجة إلى سلوك أو اتباع شيخ أو طريقة؟

جواب (1): إن رسالة الرسول ﷺ في الإرشاد والتزكية لم تتوقف بوفاته ﷺ، بل هي قائمة ما دامت الأرض والسماوات، من خلال وُرَّاث ورثوا عنه ﷺ العلم والمعرفة وجميع الأخلاق الطيبة التي بُعثَ ﷺ ليتممها. وهؤلاء العلماء العاملون هم ورثُته ﷺ، أخذوا نوراً من

---

[٢٢٥] الآية 67 سورة الزخرف.

[٢٢٦] ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الآية 59 سورة الفرقان.

نوره وهداية من هدايته وبصيرة من بصيرته، مَن لازمهم وصاحبهم وأخذ عنهم فهو متصل السند من خلالهم برسول الله ﷺ كابراً عن كابر. إذ هم الذين يحملون لواء المعرفة والتربية حتى قيام الساعة، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله في الحديث الصحيح **"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"**[٢٢٧].

وقد اعتاد الناس عبر السنين الأخذ بهؤلاء المرشدين، وعُرفت عبر الزمان القيمة الحقيقية لصحبتهم، والخسران الكبير لمن ضل عنهم وابتعد، كيف لا وهم أهل ذكر ومجالسة الله، الذين كما ذكر رسول الله ﷺ **"هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم"**[٢٢٨] وبصحبتهم تزكو النفوس، وترتقي الأرواح، وتتم مكارم الأخلاق، وتعالج القلوب وتتحصن بالعقيدة الصحيحة

[٢٢٧] البخاري ومسلم.

[٢٢٨] الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: **هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**" البخاري.

من مداخل الشيطان، ويزداد الإيمان بصحبتهم وطاعة الله معهم ، لأنه يزيد وينقص كما ذكر الله تعالى: ﴿ ...**لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ**... ﴾[٢٢٩].

وهذه الخصال جميعاً لا يمكن أن تكون للشخص بمفرده، ولا من خلال الكتب، بل لا بد من مجالسة ومحبة وصحبة وارثٍ محمدي يذكّرك بالله حاله، ويقوّم اعوجاجك، ويرقى بك في مدارج العلم واليقين، ولذلك ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح **"قيل يا رسول الله ، أي جلسائنا خير؟ قال: من ذكّركم اللَّهَ رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقه، وذكّركم بالآخرة عمله"**[٢٣٠].

ثم إذا رجعنا إلى حقيقة القلب وجدنا أن قلب الإنسان لا يخلو من آفاتٍ قاتلةٍ نهى الشرع عنها، كالنفاق والرياء والأنانية وحب الشهرة والكبر والعجب والبخل، فإذا غفل المرء عن حقيقة هذه الآفات فهو في الخسران المبين، وكان من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وإذا أدرك حقيقة وجود هذه الآفات وأراد التخلص منها فلن يستطيع ذلك عملياً إلا من خلال وارث محمدي مأذون يستطيع القيام بهذه المهمة، وهي مهمة شرعية ذكرها الله تعالى في قوله ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ** ... ﴾[٢٣١]. فعلى الذين يدّعون أنهم قادرون على

---

[٢٢٩] ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ ﴾الآية 4 سورة الفتح.

[٢٣٠] مسند أبي يعلى الموصلي.

[٢٣١] ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ ﴾ الآية 2 سورة الجمعة.

السلوك بمفردهم من خلال الممارسة والكتب وقراءة القرآن أن يعلموا أن ذلك لا يكفي لتقويم آفات النفس وعيوبها، قياسا على الوظائف الثلاثة التي ذكرتها الآية الكريمة ، وكل منها لا يغني عن الآخر ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾، وفي هذا رد صريح على القائلين بإمكانية السير دون المرشد، وما أروع الذي شبه الشيخ المرشد أو الوارث المحمدي بالطبيب الذي يصف الدواء، وشبه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالدواء. إذ لا بد من كليهما، فإذا عرفت الداء فلا بد من طبيب يصف لك الدواء ويراقب حالتك بعده، إلى السوء تميل أم إلى التحسن. فلا يمكن للمرء وحده أن يعالج أمراضه القلبية دون دواء، ودون من يعرف الداء، ودون من يصف الدواء، وفي هذا بيان لحتمية تلاوة كتاب الله لأنه الدواء، وحتمية معرفة سنة رسول الله ﷺ لأن فيها النجاة، ولكن لا بد معها من الطبيب العالم الذي يفهم شرع الله ويراقب أحوالك من خلال عملك في طاعة الله ، وهو معنى ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾. وهي وظيفة رسول الله ﷺ وورَّاثه من بعده ﴿ ...مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[٢٣٢].

هذا أبي بن كعب ﷺ يقول في هذا المعنى: (كنت في المسجد فدخل رجل فصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضيا الصلاة دخلنا جميعًا على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، فدخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ فقرءا فحسَّن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب

[٢٣٢] ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ الآية 17 سورة الكهف.

ولا إذا كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري فَفِضْتُ عرقاً، وكأنني أنظر إلى الله عز وجل فرقاً).

هذه هي التزكية التي لا تكون إلا بالصحبة الطيبة مع شيخ مرشد، وإلا ضاع المرء وتاه في غياهب عَرَفَ الشيطان خباياها ، واستمكن بها لينقضَّ على أصحابها في الوقت المناسب، يقنصهم ويزيغ بهم عن الصراط المستقيم. وبهذا عرفنا أن تلاوة القرآن وممارسة الطاعة بصورة منفردة شيء والتزكية شيء آخر. ولا بد أن نعلم أيضا أن علم التزكية شيء وحالة التزكية شيء آخر، فقد ينبري العالم يصيح وينادي من على منبره وفي محرابه أن الرياء من الشرك ، ثم يقع فيه، وأن الغلّ والحقد حرام وعقوبتهما كذا وكذا وفاعلهما كذا وكذا، ثم يقع فيهما. فنقول إن هذا عالمٌ بالتزكية لكنه ليس بمزكٍ، فعلم التزكية شيء وحالة التزكية شيء آخر. والمطلوب للمرء أن يعرف علم التزكية ويحظى بحالتها من خلال الوارث المرشد، فكما هي أعضاء الجسم تمرض وتذهب إلى الطبيب لعلاجها، كذلك القلوب تمرض ولا بد من طبيب عالم عارف مزك تَعْرِضُ عليه حالتك ليصف لها الدواء، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون أحوالهم على رسول الله ﷺ.

ولنقرأ هذا الحديث الذي يوضح لنا المعنى، عن حنظلة الأسيدي قال (وكان من كتاب رسول الله ﷺ) قال: **"لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة ؟ قال قلت: نافق حنظلة، قال سبحان الله ما تقول؟ قال قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله ﷺ والذي**

نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات"[٢٣٣].

السير مع الوارث المحمدي

1. ضرورة اتخاذ المرشد:

يقول الله تعالى ﴿ ...**مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾[٢٣٤]، ويقول أيضا ﴿ ...**وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ** ... ﴾[٢٣٥]. وعلى ذلك فقد تبين لنا مما سلف ضرورة البحث عن شيخ مرشد يصحبه المرء مستعينا بعد الله به في علاج آفاته القلبية، يدلُّه على الله وعلى طاعته، ويذعن لنصحه وتوجيهه.

ولننظر إلى الإمام أبي حامد الغزالي يحدِّث في هذا الأمر قائلاً: (الدخول مع الصوفية فرض عين، إذ لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام). ويقول رحمه الله في الجزء الثالث من «الإحياء» ص 60 (يحتاج المريد إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة، ليهديه إلى سواء السبيل ، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له

[٢٣٣] مسلم.

[٢٣٤] ﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ الآية 17 سورة الكهف.

[٢٣٥] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾الآية 15 سورة لقمان.

شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تَنْبُتُ بنفسها، فإنها تجف على الأرض، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر، وإن أثمرت فمرٌّ ثمرها، فليعتصم المريد بشيخه وليتمسك به).

وهذا ابن عطاء الله السكندري يقول: (وينبغي لمن عزم على الاسترشاد وسلوك طريق الرشاد أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق سالك للطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه، فإذا وجده فليمتثل أمره ولينته عما نهي عنه وزجر).

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني قدست أسراره في كتاب «الفتح الرباني» في المجلس التاسع والثلاثين على الصفحة 129: (اتبع الشيوخ العلماء بالكتاب والسنة العاملين بهما، وأحسن الظن بهم وتعلم منهم وأحسن الأدب بين أيديهم والعشرة معهم فقد تفلح، وإذا لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبدا. أما سمعت: (من استغنى برأيه ضل) (هذب نفسك بصحبة من هو أعلم منك) (اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها) ، قال النبي ﷺ "ابدأ بنفسك ثم بمن تعول").

ويقول الإمام الشعراني بعد أن بيَّن أن من سلك من غير شيخ تاه: (من قال إن طريق القوم يوصَل إليه بالفهم من غير شيخ يسير بالطالب فيها، لما احتاج مثل حجة الإسلام الإمام الغزالي والشيخ عز الدين بن عبد السلام أخْذَ أدبهما عن الشيخ، مع أنهما كانا يقولان قبل دخولهما طريق القوم (كل من قال: إن ثمَّ طريقةً للعلم غير ما بأيدينا فقد افترى على الله عز وجل)، فلما دخلا طريق القوم كانا يقولان: قد ضيَّعنا عمرنا في البطالة والحجاب ، وأثبتا طريق القوم ومدحاها).

وكان سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام يقول بعد ذلك: (ما عرفت الإسلام الكامل إلا بعد اجتماعي على الشيخ أبي الحسن الشاذلي رحمه الله)، ثم يتابع الإمام الشعراني

قائلا: (فإذا كان هذان الشيخان قد احتاجا إلى الشيخ مع سعة علمهما بالشريعة فغيرهما من أمثالنا من باب أولى).

إذن فلا بد للمرء أن يسعى لاتخاذ مرشد، قد ورث الإرشاد عن رسول الله ﷺ شيخاً بعد شيخ، يسمى وارثاً محمدياً أو شيخاً مرشداً، يصله برسول الله ﷺ صلة روحية، من خلال سند واضح صحيح، لا يقل في أهميته عن سند الحديث النبوي ، يأتمر بأمره ويسير معه ويتعلم منه ويأخذ عنه أمور دينه ودنياه، ويعرِّفه طريق الوصول إلى معرفة الله عز وجل، ويعرِّفه أحكام دينه، ويعرِّفه آفات نفسه ومعالجتها، ويحذِّره من مداخل الشيطان على قلبه، فلرسول الله وُرَّاثٌ ورثوا عنه بعض الوظائف التي اختص بها. فمنهم من ورث عنه علوم الفقه، ومنهم من ورث عنه علوم التلاوة، ومنهم من ورث عنه علوم السير وغيرها من العلوم، وقد ورث عنه أشياخنا رجالُ السند علومَ الشريعة والطريقة والحقيقة، إضافة إلى مناهج تزكية الأنفس وإصلاح القلوب، وقد عُرف عن ساداتنا أهل البيت الأطهار عبر السنين ميراثهم لهذه العلوم عن رسول الله ﷺ.

ذكر ابن كثير في تفسيره في المجلد الأول صفحة 418، في تفسير قوله تعالى ﴿...**أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ**..﴾[٢٣٦] قال: قال أبو القاسم الطبراني، حدثنا علي بن بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن حمادة بن طلحة القناد، حدثنا أسباط بن نصر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس أن علياً كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: (أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم. والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو

[٢٣٦] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الآية 144 سورة آل عمران.

قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني). فلا يمكن أن يفهم من هذا القول ادعاءً من سيدنا علي لوراثة الخلافة والحكم عن رسول الله وهو بين ظهرانيهم، ففي ذلك منتهى الإساءة لرسول الله ﷺ الذي أدّب سيدنا علياً فأحسن تأديبه، بل إن السياق يدل بما لا يدع مجالاً للشك أن المعنى المقصود هو ميراث الولاية والإرشاد الذي تربع على قمته أشياخنا من آل البيت الأطهار.

يقول الشيخ مصطفى البكري في ورد السحر (إلهي دلني على من يدلني عليك وأوصلني يا مولاي إلى من يوصلني إليك).

سؤال (2): بعنوان (التلقي عن الشيخ، وعن أكثر من شيخ). هل يجوز ادعاء التلقي من شيخ ميت؟ وهل يجوز الانتماء لأكثر من شيخ؟

جواب (2): لا يمكن التلقي ولا يتم الانتفاع بشيخ ميت، ولو صحَّ هذا لما كانت هناك حاجة إلى وجود المرشدين الأحياء، لأن الله تعالى كتب في سابق علمه أن رحمته تجري لخلقه بمدد واصل في كل عصر إلى خاصته وعرائسه في الأرض الذين هم أولياؤه وورثة أنبيائه. وهو معنى قوله ﷺ "**العلماء ورثة الأنبياء**"[٢٣٧]. فلا بد من هؤلاء كي يدلوا الخلق على الخالق ، ولا بد أن يكونوا أحياءً جيلاً بعد جيل، يعيشون بين الخلق حتى قيام الساعة، بهمتهم وحالهم تكون الإفادة للخلق.

عن أنس رضي الله عنه قال: "**لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي ﷺ**

[٢٣٧] هذا جزء من حديث ورد عند الإمام أحمد، والدارمي، وابن ماجة، والترمذي، والطبراني، وابن حبان بألفاظ وطرق متعددة.

الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا "[٢٣٨]. وهذا يدل على أن وجود النبي ﷺ بشخصه هو ورؤيته بين الصحابة كان نافعاً لقلوبهم. ومن هنا كان الأمر بصحبة الصالحين ﴿ ...**وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ** ... ﴾[٢٣٩]. وذكر الشيخ محي الدين بن عربي: (أن الميت لا ينتفع به من حيث تربية المريد والانتفاع في سيره إلى الله، ومحاذاته في الطريق ، ولا تتيسر هذه إلا بصحبة الحي ، إذ قيد الحياة شرط في الصحبة).

وقد قيل: من أعرض عنهم مستعيناً بكلام من تقدمهم من الأموات، طبع عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريعه مستغنياً بشرائع النبيين الذين خلوا.

ويقول الإمام الشعراني: (ومن الواجب على المريد إذا مات شيخه أن يتخذ له شيخاً يربيه زيادة على ما رباه شيخه الأول، فإن الطريق لا قرار له).

وعلى هذا فلا بد من الانتفاع بشيخ حي يراه السالك ويجلس معه ليرشده إلى طريق الحق القويم، فبالسير مع هذا الشيخ الوارث المحمدي تستضيء القلوب، وتعتدل الأمزجة، وتخمد وساوس الشيطان، كما في حديث أنس السابق. ولا يجوز ادعاء التلقي من المشايخ الأموات فإن ذلك غير صحيح، وهو من ضعف الهمة، وهوى النفس، ورداءة الفطنة، إلا إذا كان ذلك على سبيل التبرك بهم، مع شرط وجود الشيخ المرشد الحي ، فإن مات الوارث المرشد فإنهم بعد

---

[٢٣٨] الإمام أحمد وابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

[٢٣٩] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الآية 15 سورة لقمان.

نقله لدار الحق عليهم الاجتماع إلى من أشار إليه ليخلفه أو من اجتمعت به الصفات وجرى عليه الإجماع.

كما لا يجوز أيضاً اتخاذ أكثر من شيخ واحد لما في ذلك من الفساد وعدم النفع، و أذكر هنا مقولة أبي يزيد البسطامي: (من لم يكن له أستاذ واحد فهو مشترك ، والمشترك شيخه الشيطان. ثم قال: أخذت طريقي عن شيخي نَفَساً بنفَس). وهذا هو الشيخ محي الدين بن عربي يقول: (اعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ له إلا شيخاً واحد اً، لأن ذلك أعون له في الطريق، وما رأينا مريداً قط أفلح على يد شيخين).

فلا بد إذ اً من نبع واحد يستقي منه المريد ويستدل به على طريق الآخرة. وإذا تعدد الدُّلاَّل له ربما تاه واختلط عليه الأمر، ولا حجة للذين يقولون بأن الصحابة والتابعين كانوا لا يتقيدون بشيخ واحد، لأن أولئك كانوا أبراراً أطهاراً وكل واحد منهم هو شيخ مرشد. قد وصلوا أعلى مراتب العبودية والطاعة ولا حاجة لهم بذلك لأن الرسول ﷺ قال: **"أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"**[٢٤٠]، وما كانت الحاجة إلى مرشد واحد إلا بعد أن كثرت الآفات والأمراض والعلل واحتاجوا إلى علاجها. والعلاج في هذه الحالة لا يكون إلا على يد شيخ واحد حتى لا يتيه المريد ويطول عليه الطريق، إذ أن الرسول ﷺ كان في حياته هو المرشد والمزكي والمعلم دون غيره.

[٢٤٠] الدارمي، وابن عدي، وغيرهما.

2. صفات الشيخ المرشد:

سؤال (3): ما هي صفات الشيخ المرشد الوارث وعلاماته؟

جواب (3): لابد من التفريق بين وظيفة العالم ووظيفة الشيخ المرشد المربي، إذ كما قلنا سابقا في موضوع التزكية فإن العالم يعنى بحفظ النصوص وتلقينها، وقد تكون نفسه مزكاة، أما المرشد المحمدي فطريقه موصلٌ لتزكية النفوس والتحلي بالكمالات الخلقية، وهو الذي تزداد حين تصحبه إيماناً وتقىً وطهارةً، وملازمتك له وامتثالك لأمره يعني شفاءك من أمراضك القلبية وعيوب نفسك، ويؤثر فيك شخصه الذي هو صورة عن الشخص المثالي، شخص رسول الله ﷺ.

ومن صفات الشيخ المرشد أن يكون عالماً بالشريعة، عاملاً بأحكامها عالماً بالفرائض العينية وأركانها، متحققاً بالعقيدةِ وصحتها، مزكياً لنفسهِ على يد مربٍ مرشدٍ، خابراً مراتب النفس وأمراضها، مدركاً أحوال القلبِ ومداخل الشياطين ووساوسها، مجازاً من قبل شيخ مرشد كامل يتصل سنده بالتسلسل شيخاً عن شيخ حتى رسول الله ﷺ، مقلداً متبعاً متشبهاً برسول الله ﷺ قلباً وقالباً، لا تعتري قلبه الآفات ولا قالبه النواقص، كأن يكون متكبراً معجباً بنفسه أو بخيلاً أو مغروراً أو حاسداً. وأن يكون خاليا من صفات العَوَر والصمم والبكم والعرج أو أي صفةٍ خَلْقيةٍ، لأن في ذلكَ مَساساً بالجناب المحمدي الذي يتشبه به وما لذلك من أثر سلبي في نفوس أتباعه.

ثم يلمَس الناظر في محيطهِ أجواءَ الإيمان والتقوى والتواضع بين أتباعه ومحبيه دلالةً على تأثيره في إصلاح محيطه، قال الله تعالى ﴿ ...**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩** ﴾[241]، وقال أيضا ﴿ ...**وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ... ﴾[242].

أوصى رسول الله ﷺ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما فقال **"يا ابن عمر ، لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبلي، فإن العبد لو جاء يوم القيامة بالحسنات كأمثال الجبال الرواس ي ظن أنه لا ينجو من أهوال ذلك اليوم . يا ابن عمر ، دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك ، فانظر عمن تأخذ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا"**[243].

3. من علامات الإرشاد:

ينيبُ إلى دار الخلود ، وتجري عليه صورةُ المجاهدةِ والمعاملةِ من غيرِ مكابدةٍ ولا عناء، بل بلذاذةٍ وهناء، ويصيرُ قالبه بصفةِ قلبه لامتلاءِ قلبِه بحب ربه، يلينُ جلدهُ كما لان قلبه، والدليلُ على لين جلده إجابةُ أعضائِه وقالبه بالطاعة كإجابة القلب باللين والخشوع والإنابة. فيزيده الله ويحبه ويمنحه بإرادة خاصة، ويرزقه محبةً توصله لدرجةِ السابقين المقربين، قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ**

---

[241] ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ ﴾ الآية 59 سورة الفرقان.

[242] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥ ﴾ الآية 15 سورة لقمان.

[243] أخرجه ابن عدي عن ابن عمر، وأخرجه أيضًا ابن الجوزي في العلل المتناهية.

﴿ ... تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ... ﴾[٢٤٤]. فأخبر تعالى أن الجلود تلينُ كما القلوب تلين. والوارث المحمدي أهل للاقتداء، وعليه وقار الله، وبه يتأدب المريدونَ ظاهراً وباطناً. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ ... ﴾[٢٤٥]. وقال أيضاً: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢٤٦]. وهكذا جعلَهم الله أئمةَ المتقين. قال ﷺ حاكياً عن ربه **"يقول الله: إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي، جعلت نعيمه ولذته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه ولذته في ذكري عشقني وعشقته، فإذا عشقني وعشقته رفعت الحجاب فيما بيني وبينه وصيرت ذلك مغالبا عليه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة وعذابا ذكرتهم فصرفت ذلك عنهم"**[٢٤٧].

ومجالسة الناس للوارث المربي تزيد في إيمانهم، وتحيي أرواحَهم وقلوبَهم، فلا يتكلم المربِّي إلاّ لله، ولا ينطق إلاّ بخير. يُنتفع به من قربه كما ينتفع من بُعده، رؤيته تذكرك بالله أو كما قيل (تستفيد من لحظه كما تستفيد من لفظه)، ويكون بينه وبين مريديه تآلفٌ مأخوذ عن وجه

---

[٢٤٤] ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الآية 23 سورة الزمر.

[٢٤٥] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الآية 90 سورة الأنعام.

[٢٤٦] الآية 24 سورة السجدة.

[٢٤٧] أبو نعيم في الحلية.

التآلف الإلهي ﴿ ...**يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** ... ﴾[٢٤٨]، ويكون في الشيخ معنى التخلق بأخلاق الله تعالى، "**ألا طالَ شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقاً**"[٢٤٩]. قال تعالى﴿ ... ...**لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ** ﴾[٢٥٠].

فبتوفيق الله الذي يؤلف بين القلوب، وبما يكون من حسن التآلف بين الفاضل والمفضولِ يصير السالك جزءَ الشيخ كما الولد جزء أبيه الصُلْبي، والولادة هنا ولادة معنوية. فالولادة الصُلْبية تربط الوَلد بعالم الملكِ (ظاهر الكون) ، والولادة المعنوية تربط الولد بعالم الملكوت (باطن الكون)، وهذه الولادة تصل المريد من خلال شيخه بميراث النبي ﷺ، فهو لها مستحق من خلال سنده المتصل عَبْرَ أشياخ شيخه إلى رسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥** ﴾[٢٥١].

فالوارث له أولاد بهذه الصفة يأخذون منه العلومَ والأحوالَ ويتربّونَ على يديه، وتتزكى نفوسهم بصحبته كما تزكت نفسه بصحبة أشياخه حتى رسول الله ﷺ، الذي نفى الله عنه

---

[٢٤٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ الآية 54 سورة المائدة.

[٢٤٩] إحياء علوم الدين للغزالي، وروضة المحبين، والحكم اللدنية.

[٢٥٠] ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾ الآية 63 سورة الأنفال.

[٢٥١] الآية 75 سورة الأنعام.

صفة الأبتر (أي الذي لا نَسْلَ له) حين عابه بها الكفار فقال تعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[٢٥٢] رغم أنه لم يعش للرسول ﷺ من صُلبه ولد، فالصالح من أمَّته هو ولده ﷺ، لأن نسله الروحي إضافة إلى نسله من فاطمة الزهراء باقيان إلى أن تقوم الساعة. وبهذه النسبة المعنوية من جهةٍ والصُّلبيةِ من جهة أخرى يصل ميراث العِلم إلى أهل العلم. قال تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ... ﴾[٢٥٣]، ومن هذا الفهم للأبوة الروحية كانت النصائح الرحمانية لشيخنا العارف بالله ، وارث جده رسول الله ، الشيخ عبد الرحمن الشريف، حين بدأها بقوله (يا ابن الروح).

ولا يظن أحد أن لما قلناه علاقة بما عند النصارى من اعتقادات في الأبوّة والبنوّة، فالأب عندهم، والعياذ بالله، هو الله، والابن عندهم هو المسيح، ونعوذ بالله من ذلك. والأب ، وهو الكاهن أو الحبر عندهم ، صورة عن الله ، بدليل أنهم يعترفون أمامه كأنهم يعترفون أمام الله، وبذلك أسبغوا عليه من صفات الألوهية كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ... ﴾[٢٥٤]. وهذا لا جدال في رفضه رفضاً قاطعاً في

---

[٢٥٢] الآية 3 سورة الكوثر.

[٢٥٣] ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٦﴾ الآية 6 سورة الأحزاب.

[٢٥٤] ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ الآية 31 سورة التوبة.

عقيدة المسلمين، أما ما نعنيه هنا بالأبوة والبنوة فهي علاقة تربيةٍ روحية، فقد جُعل المرشد مربياً للروح، بمثابة الأب المربي للجسد.

أدب المريد مع الشيخ

أجمع العارفون بالله أن التصوف كلّه أدب، ولا يمكن أن يكون سلوك دون أدب، وسوء الأدب قاطع رئيسي، ولكل وقت أدب، ولكل فعل أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن يلزم الأدب يبلغ مبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول، والأدب دعامة أساسية في السلوك.

في الباب الحادي والخمسين من كتاب السهروردي «العوارف للمعارف»، يذكر السهروردي مجموعة من آداب المريد مع الشيخ أقتطف منها باقة جميلة أقدّمها لقارئ كتاب الدلالة النورانية.

يقول الشيخ: (أدب المريد مع الشيوخ عند الصوفية من أهم الآداب، وللقوم في ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه. وقد قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[٢٥٥]. روي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قدم وفد على رسول الله ﷺ من بني تميم، فقال أبو بكر: أمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه بل أمِّر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي. وقال عمر: ما أردتُ خلافك. فتماريا، حتى ارتفعت أصواتهما. فأنزل الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ

[٢٥٥] الآية 1 سورة الحجرات.

يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾[٢٥٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تقدموا، أي لا تتكلموا بين يدي كلامه.

قال جابر: كان ناس يضحّون قبل رسول الله ﷺ، فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ، وقيل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا، فكره الله ذلك. قالت عائشة رضي الله عنها: لا تقدّموا، أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم. وقال الكلبي: لا تستبقوا رسول الله ﷺ بقول ولا فعل حتى يكون هو الذي يأمركم به. وهكذا أدب المريد مع الشيخ، أن يكون مسلوب الاختيار، لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره. وقيل لا تقدموا، أي لا تمشوا بين يدي الشيخ). انتهى كلام السهروردي.

وقصة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في عام الحديبية مشهورة، وذلك عندما أرسله رسول الله ﷺ إلى مكة مفاوضاً امتنع عن الطواف قبل طواف رسول الله ﷺ. وروى أبو الدرداء: كنت أمشي أمام أبي بكرٍ، فقال لي رسول الله ﷺ تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا وفي الآخرة. وقيل نزلت في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فإذا سئل الرسول ﷺ عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فنهوا عن ذلك. وهكذا أدب المريد في مجلس الشيخ ينبغي أن يلزم السكوت ولا يقول شيئاً بحضرته من كلامٍ حسنٍ إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة في ذلك. الكلام لسيدنا السهروردي.

وينبغي للمريد أن لا يحدِّث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ، بل يحب للشيخ كل منزلة عالية، ويتمنى له عزيز المنح وغرائب المواهب.

---

[٢٥٦] الآية 1 سورة الحجرات.

ومن تأديب الله تعالى لأصحاب رسوله ﷺ قوله تعالى ﴿ ...لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ... ﴾[257]. كان ثابت بن قيس بن شماس في أذنه وقر، وكان جهوري الصوت، فكان إذا كلم إنساناً جهر بصوته. وربما كان يكلم النبي ﷺ فيتأذى بصوته، فأنزل الله تعالى الآية الكريمة تأديباً له ولغيره. قيل لما نزلت الآية آلى أبو بكرٍ ألَّا يتكلم عند النبي ﷺ إلا كأخ السرار. وكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبي ﷺ لا يُسمع كلامه حتى يُستفهم. فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ ، لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ. فرفع الصوت تنحية جلباب الوقار، والوقار إذا سكن القلبَ عقل اللسانُ ما يقول. والكلام لسيدنا السهروردي.

قال أبو بكر القاضي في قوله تعالى ﴿ ...لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ... ﴾ أي لا تبدؤوه بالخطاب، ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة. ﴿ ...وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ... ﴾، أي لا تُغلظوا له في الخطاب ولا تنادوه باسمه، وهذا منتهى سوءِ الأدب أن ينادى الرسول ﷺ بنداء يا محمد، يا أحمد ... ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع شيخه. ولما نزلت الآية ﴿ ...أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ قعد ثابت بن قيس في بيته يبكي، وهو جهوري الصوت، واعتزل مجلس رسول الله ﷺ، وقال: أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل إليه وبشَّره **"أما ترضى أن تعيش سعيداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة "**؟ قال: قد رضيت ببشرى رسول الله ﷺ، ولا أرفع

---

[257] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الآية 2 سورة الحجرات.

صوتي أبداً على رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[٢٥٨].

وينبغي للمريد كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ، وهذا باب آخر من سوء الظن، إذا حصل بين المريد وشيخه، أن يحذر انتفاء النفع، فلا يمكن أن يكون نفع مع سوء الظن. وهذا يذكِّر بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وكيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها سيدنا موسى، وإذا أخبره الخضر بسرِّها يرجع عن إنكاره. فما ينكره المريد إنما هو لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ. فللشيخ في كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة ﴿ ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ.. ﴾[٢٥٩]. سأل بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد، فأجابهم رضي الله عنه، فعارضه السائل، فقال الجنيد: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾[٢٦٠]، وقال بعض المشايخ: من لم يعظِّم حرمة من يتأدب به، حُرم بركة ذلك الأدب. وقيل: من قال لأستاذه لا، لا يفلح أبداً.

وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال في السماع وتقيِّده. واستغراقه في الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى النغم

ومن الأدب ألا يكتم على الشيخ من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهره له من كرامة وإجابة، ويكشف للشيخ من حاله ما يعلمه الله تعالى منه، وما يستحيي من كشفه يذكره

---

[٢٥٨] الآية 3 سورة الحجرات.

[٢٥٩] ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ الآية 9 سورة الزمر.

[٢٦٠] الآية 21 سورة الدخان.

إيماءاً وتعريضاً، فإن المريد متى انطوى ضميره على شيء، لا يكشفه للشيخ تصريحاً أو تعريضاً، يسير على باطنه منه عقدة في الطريق. وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول.

ومن الأدب أن لا يقوم بصحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قَيِّم بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم بالتأديب من غيره. ومتى كان عند المريد تطلع إلى شيخ آخر، لا تصفو صحبته، ولا ينفذ القول فيه، ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه، فإن المريد كلما أيقن تفردَ الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته.

ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمور دينه ودنياه، لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه، أي الاندفاع تجاهه، حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه، ومتفرغ لقوله. عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا"**[٢٦١]. فاحترام العلماء توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوبة.

ولابد من الإشارة إلى آداب أخرى. فعلى المريد أن يُكنّ لشيخه كل احترام وتقدير، كونه المربي للروح، والدّال على الله تعالى، وصلة الوصل لأهل الله حتى رسول الله. لكن دون الوصول في هذه المحبة إلى الغلو المرفوض ، كأن يُخْرِج شيخَهُ عن طور البشرية، أو عن طور الولاية، فيعتقد فيه العصمة وهي للأنبياء لا للأولياء ، لأن الشيخ وإن كان على أكمل الصفات، فهو غير معصوم، وإن كان من أهل المشاهدة الذين لا يقعون في المعاصي، إذ قد تبدو منه الهفوات والزلات، وغالباً ما تكون هذه الهفوات ظاهرها يخالف الشرع، وباطنها لا يخالف، كقصة سيدنا الخضر مع سيدنا موسى، وغالباً ما تجري الابتلاءات والامتحانات على

---

[٢٦١] المستدرك على الصحيحين، وفي رواية "ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه".

يد الأولياء. فالمريد إذا اعتقد بشيخه العصمة المطلقة، ثم رأى منه ما يخالف ذلك وقع في الاضطراب والحيرة. فعلى المريد أن يستسلم لشيخه كما الميت بين يدي المغسِّل. ولا يقال بأن هذا انقيادٌ أعمى ينافي حركة العقل والحرية للمرء، لأن ذلك من باب التربية والعلاج ، إذ هل يُعقل أن يدخل مريضُ الجسدِ إلى طبيب الجسد متشككاً مضطرباً ، أم أنه يدخل إليه مستسلماً ويقبل علاجه ودواءه ونصحه ويسلم به ، دون أن يتهم بتخليه عن عقله!؟ كذلك طبيب الروح، لا بد وأن تُسلِّم لنصحه ووعظه ودوائه وعلاجه، كي تظفر بالشفاء من العيوب، وهذا لا يتنافى مع دور العقل.

ثم إني أُحذر السالك من الاعتراض على شيخه وفتح باب النقد لتصرفاته، لأن هذا يقطع المدد الروحي بينهما. وليحرص على إغلاق منافذ الشيطان الذي يسعى دوماً لإيقاع العداوة بينهما. فإذا دخل على السالك إشكال أو ريبة من شيخه، فليحسن الظن بشيخه، وإلا فاتحه في الأمر وسأله بأدب واحترام. قال أبو العباس المرسي رحمه الله: تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحداً أنكر عليهم ومات بخير. وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني قدست أسراره: من وقع في عِرض ولِي ابتلاه الله بموت القلب ، ومصداق ذلك هو قول الرسول ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه **"من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.. ."**[٢٦٢]. قال محمد بن حامد الترمذي: من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم، فإنه لا يتأدب بكتابٍ ولا سنة.

[٢٦٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ". البخاري.

حكم تقبيل الأيدي

سؤال (4): ما هو حكم تقبيل أيادي العلماء والصالحين والوالدين؟

جواب (4): أجاز الشرع الحنيف تقبيل يد العلماء والصالحين والوالدين، كما سيأتي ذكره، لأنه شعار ومظهر من مظاهر التواد والتواضع لأهل الفضل والصلاح.

ما ورد في السنة النبوية:

جاء في شرح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني (أن أبا لبابة وكعب بن مالك وصاحبيه قبّلوا يد النبي ﷺ حين تاب الله عليهم). وعن صفوان بن عسال قال: **"قال يهودي لصاحبه قم بنا إلى هذا النبي، فأَتَيا رسول الله ﷺ فسألا عن تسع آيات بينات فذكر الحديث... إلى قوله فقبَّلا يده ورجله وقالا: نشهد إنك نبي الله"**[٢٦٣].

وروى أبو داود عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع، وكان في وفد عبد القيس قال (فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله). وكذلك رواه البيهقي كما في السيرة الشامية وفيها (ثم جاء منذر الأشبح حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبلها وهو سيد الوفد).

ما ورد في الآثار:

جاء في شرح البخاري لابن حجر العسقلاني: أخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية عبد الرحمن بن رزين قال (أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفاً له ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا إليها فقبلناها). وعن ثابت (أنه قبل يد أنس) رضي الله عنه. وأخرج أيضاً (أن علياً قبل يد العباس

---

[٢٦٣] رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه، والنسائي وغيرهم.

ورجله). وأخرج من طريق أبي مالك الأشجعي (قلت لابن أبي أوفي: ناولني يدك التي بايعتَ بها رسول الله ﷺ فناوَلنيها فقبلتها).

وأخرج الطبراني والبيهقي والحاكم عن الشعبي (أن زيد بن ثابت صلى على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه ، فقال زيد بن ثابت : خل عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أُمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبَّل زيد بن ثابت يد عبد الله وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله ﷺ).

وقال ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» ج7 ص55 في فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد كلام.. (فلما وصل عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه أبو عبيدة ورؤوس الأمراء كخالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان، فترجل أبو عبيدة وترجل عمر ، فأشار أبو عبيدة ليقبِّل يد عمر، فهمَّ عمر بتقبيل رجل أبي عبيدة، فكف أبو عبيدة فكف عمر).

وفي «شرح الهداية» قال أبو المعالي: أما تقبيل يد العالم والكريم لرفده فجائز. وأما تقبيل يده لغناه فقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من أصبح محزوناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربَّه، ومن دخل على غنيٍّ فتضعضع له ذهب ثُلُثا دينه، ومن قرأ القرآن فدخل النار فهو ممن اتخذ آيات الله هزواً "**[٢٦٤] . وقد علمت أن الصحابة قبَّلوا يد النبي ﷺ كما ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند قدومهم من غزوة مؤته. وقال الحافظ بن الجوزي في «مناقب أصحاب الحديث» (ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم، قال: ومن التواضع تقبيل يده،

[٢٦٤] البيهقي.

وقبل سفيان بن عيينه والفضيل بن عياض أحدهما يد الحسين بن علي الجعفي والآخر رجله)[٢٦٥].

أقوال أئمة الفقه:

الحنفية: قال العلامة ابن عابدين في حاشيته عند كلام صاحب الدر المختار: (ولا بأس بتقبيل يد الرجل العالم والمتورع على سبيل التبرك، وقيل سنة. قال الشرنبلالي: وعلمت أن مفاد الأحاديث سنيته أو ندبه، كما أشار إليه العيني).[٢٦٦]

المالكية: قال الإمام مالك: (إن كانت قبلة يد الرجل على وجه التكبر والتعظيم فمكروهة، وإن كانت على وجه القربة إلى الله لدينه أو لعلمه أو لشرفه فإن هذا جائز).[٢٦٧]

الشافعية: قال الإمام النووي: (تقبيل يد الرجل لزهده وصلاحه وعلمه أو شرفه أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره بل يستحب. فإن كان لغناه أو شوكته أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه شديد الكراهة)[٢٦٨].

الحنبلية: في «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» للعلامة السفاريني الحنبلي قال: (قال المرزوي: سألت أبا عبد الله – الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله عن قبلة اليد فقال : إن كان

---

[٢٦٥] شرح منظومة الآداب للسفاريني. ج1 ص287

[٢٦٦] حاشية ابن عابدين ج5 ص254.

[٢٦٧] شرح البخاري لابن حجر العسقلاني ج11 ص48.

[٢٦٨] الإمام النووي.

على طريق التدين فلا بأس، قبَّل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وإن كان على طريق الدنيا فلا)[٢٦٩].

هذه هي الأدلة الشرعية في حكم تقبيل يد الصالحين والأولياء والوالدين وأهل الفضل.

علاج النفس ومراتبها

سؤال (5): كيف تعالج الطريقة النفس من آفاتها؟

جواب (5): يقول الله تعالى ﴿...**وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ** ...﴾[٢٧٠]. ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾**﴾[٢٧١]، وهذه الآية مكية نزلت قبل الإذن بجهاد الأعداء، مما يدل على أنها في جهاد النفس على الأخص. ويقول الله تعالى﴿**وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾**﴾[٢٧٢].

---

[٢٦٩] «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» للعلامة السفاريني الحنبلي. ج1 ص287.

[٢٧٠] ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ الآية 18 سورة فاطر.

[٢٧١] الآية 69 سورة العنكبوت.

[٢٧٢] الآيات 7 – 10 سورة الشمس.

إن معرفة النفس فرض عين لكل سالك في طريق الآخرة ، لأن من عرف نفسه عرف ربه. وأعني بالنفس اللطيفة الربانية التي سُمِّيت فيما بعد بالروح، حيث كانت قبل تعلقها بالجسد في جوار الحق تعالى، ولما وُجد الجسد تعلقت به ومالت إلى طبيعته الشهوانية، ووصفها الحق بأنها أمارة بالسوء ما لم تتزكى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣ ﴾[٢٧٣]، فحالها بدون تزكية حال ظلمة وهبوط، وإذا تزكت فهي نفس نورانية تحققت من مراتب النفس السبعة التي سنذكرها إن شاء الله.

وقد عُنيت طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية بهذا الجانب وتميزت به، فهي تراعي في السالك التخلص من آفات النفس المذمومة لتحيلها إلى أخلاق حميدة مشكورة. فعلى السالك أن يتنبه لحقيقة نفسه ويسعى لتزكيتها على يد مرشد وارث متصل برسول الله ﷺ، قبل أن تأتي سكرة الموت بالحق.

وليعلم السالك أن النفس تمرض كالجسد، فكما تذهب للطبيب لعلاج جسدك، وأخذ الدواء اللازم له، كذلك النفس لابد لها من طبيب وهو الشيخ، ولابد لها من دواء وهو الذكر الذي يصفه الشيخ.

ثم ليُعلم أن للنفس سبع مراتب:

الأولى: النفس الأمارة

وهي النفس الخالية من التزكية، المجردة من القيم الروحية، لأنها تميل إلى رغبات الجسد وملذاته وشهواته المحسوسة، وتميل بصاحبها إلى الأسفل ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥

---

[٢٧٣] الآية 53 سورة يوسف.

﴾[274]. وهنا تبدأ مرحلة التزكية ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾[275].

وكل الطبائع الذميمة الباطنة تسكن في هذه النفس، كالغل والحقد والنفاق والشح والحسد والغضب...إلخ. ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ ﴾[276].

الثانية: النفس اللوامة

وهي التي بدأت تدرك حقيقة المجاهدة فأخذت ببداياتها، ولقرب عهدها بالنفس الأمارة تطيع الحق مرة وتعصيه أخرى ثم تندم. فإذا تنورت فعلت الخير ولامت حالها لعدم استدامته والإكثار منه. وإذا فعلت الشر لامت صاحبها عند انتباهها لِمَ فعلته؟ قال تعالى ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[277].

الثالثة: النفس المطمئنة

وقد ارتقى حالها وتنورت بنور الإيمان الذي وقر في القلب بفعل الخير والندم على الشر، وبدأت تتخلص من الصفات الذميمة، واطمأنت بحال الذكر والقرب من الله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

[274] الآية 5 سورة التين.

[275] الآية 6 سورة التين.

[276] الآية 53 سورة يوسف.

[277] الآية 1و2 سورة القيامة.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢٧٨]. وهي أولى مراتب الكمال، وعُدّ صاحبها من أهل الطريق، لأنه أبصر الحق ودرج عليه. وتعلَّق بربه وتفانى في حبه. قال تعالى﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾[٢٧٩].

الرابعة: النفس الملهمة

وهي ثمرة العمل في النفس الثانية والثالثة ، فصارت بفعل الطاعات ملهمة ﴿ ...وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[٢٨٠]. فمن التزم الشريعة وترجمها بالطريقة، أي التطبيق، لابد وأن يثمر ذلك الحقيقة، فهي كمن يخض اللبن ليأتي بالزبدة.

ويتميز أصحاب هذه المرتبة بالصبر والتحمل والشكر والتواضع والقناعة والكرم، قال تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[٢٨١]. ومثال ذلك قصة سيدنا عمر بن الخطاب المشهورة مع سارية بن حصن، حيث قال بعدها (وقع في خلدي) أي ألهمني ربي.

---

[٢٧٨] الآية 28 سورة الرعد.

[٢٧٩] الآية 27و28 سورة الفجر.

[٢٨٠] من الآية 282 سورة البقرة.

[٢٨١] الآية 65 سورة الكهف.

الخامسة: النفس الراضية

وهي ثمرة المراتب الثلاثة السابقة ، حيث رضِيَت عن الله في مشيئته وأقداره، وإذا سُئِلَتْ ماذا تشتهي، قالت (ما يقضي الله). قال تعالى ﴿ ...**وَرَضُواْ عَنْهُۚ**... ﴾[٢٨٢].

قال شيخنا العارف بالله الشيخ عبد الرحمن الشريف في تحفته:

يا نفس لا تبتغي اللذّات وارتدعي وارضي بما قدر الرحمن واستقمي

والغالب على هذه النفس التسليم المطلق ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥** ﴾[٢٨٣].

السادسة: النفس المرضية

وهي التي رضي الله عنها بسبب رضاها. وهي أولى مراتب معرفة الله تعالى حق معرفته. قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه "**إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**"[٢٨٤].

---

[٢٨٢] ﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨ ﴾ الآية 8 سورة البينة.

[٢٨٣] الآية 65 سورة النساء.

[٢٨٤] البخاري.

والغالب على هذه النفس صفات الإخلاص والذكر والكرامة والطهارةُ من شوائب الرياسة والسمعة والرياء. قال تعالى في آية جمعت النفس المطمئنة والراضية والمرضية ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾[٢٨٥]. وقال أيضاً ﴿ ...رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ... ﴾[٢٨٦].

السابعة: النفس الكاملة

ولا نعني به الكمال المطلق الذي هو لله وحده، بل الكمال الجزئي البشري حيث تصير الكمالات طبعاً أصيلاً في هذه النفس وتترقى في هذا المقام. وغالباً ما يكون صاحبها مرشداً للناس. وحالها من الله وإلى الله.

فاعلم أيها السالك أن الترقي في هذه المقامات لا يكون إلا على يد مربٍّ مرشد كامل يعرف مقامات الطريق، وآفات النفس، ومداخل الشيطان، وينأى بمريده عن دروب الشر والفساد، إلى دروب الخير والإحسان.

وأريد هنا التنبيه على أن السير في تخليص النفس من آفاتها ورعوناتها لا يكون إلا ب اتباع الشرع الشريف. لا كما تدعي الفلاسفة والبوذيون والبراهمة والمعتزلة بأنها تكون بطريق العقل والرياضات العقلية المجردة عن المنهج الإلهي الواضح، فوقعوا في الضلال.

---

[٢٨٥] الآية 27و28 سورة الفجر.

[٢٨٦] ﴿ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الآية 8 سورة البينة.

وقد اعتمدت الطريقة في منهجيتها لعلاج النفس من آفاتها منهجا تربويا يوميا للسالك. وسنعرض في المبحث التالي، من خلال الحديث عن أركان الطريقة، تفاصيل هذا المنهج.

أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية أركان سبعة، تحدث عنها بالإجمال شيخنا العارف بالله الشيخ خير الدين الشريف كمنهج تربوي يومي للسالك. وفي التزام هذه الأركان اعتقاداً وتطبيقاً تتبين للسالك مراتب النفس التي تحدثنا عنها. ونقول في تفصيل هذه الأركان وبالله التوفيق:

الركن الأول: الحب

اختار أشياخنا الحب ليكون الركن الأول من أركان الطريق، لأن أي مقام يُدرَك، ما هو إلا ثمرة من ثمار الحب، كمقام الشوق والرضا والتسليم. وأي مقام يسبق الحب ما هو إلا مقدمة من مقدماته، كمقام الإيمان والتوبة والتحمل والزهد. ونعني الحب الإلهي، الذي من ثماره ينبثق الحب النبوي، وحب أنبياء الله وأوليائه وأحبابه.

ومن أدرك مقام الحب أدرك حقيقة الإيمان لقوله تعالى ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**... ﴾[٢٨٧]. وأبلغ ما يقال

[٢٨٧] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾الآية 165 سورة البقرة.

في تعريف الحب ما قاله الإمام الجنيد رحمه الله عندما سئل عن علامات المحبة، فكان جوابه: (فيضان الدموع من عينيه وخفقان القلب بالهيام والشوق).

وقد افترى بعض المغرضين من الكفرة والملاحدة فريةً مفادها أن العلاقة بين الخالق والمخلوق تقوم على الرهبة والبطش والعنف والتخويف. وأترك الجواب على هذه الفرية لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما فيهما من الأدلة في الرد على ذلك، وإثبات حقيقة الحب وفضله:

قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ** .. ﴾.[٢٨٨]

قال تعالى﴿ ...**وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ**... ﴾[٢٨٩].

قال تعالى﴿ **قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١** ﴾[٢٩٠].

---

[٢٨٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ الآية 54 سورة المائدة.

[٢٨٩] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥ ﴾ الآية 165 سورة البقرة.

[٢٩٠] الآية 31 سورة آل عمران.

قال تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾[٢٩١].

قال تعالى﴿ ...وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٢٩٢].

قال تعالى﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[٢٩٣].

قال تعالى﴿ ...وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢٩٤].

قال تعالى﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢٩٥].

---

[٢٩١] الآية 76 سورة آل عمران.

[٢٩٢] ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الآية 146 سورة آل عمران.

[٢٩٣] ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾الآية 42 سورة المائدة.

[٢٩٤] ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الآية 93 سورة المائدة.

[٢٩٥] ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الآية 159 آل عمران.

قال تعالى﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢٩٦].

أما الفرية التي افتراها من لا خلاق لهم، فهي على أمثالهم من الزنادقة والملاحدة، لا على المؤمنين الصادقين. ودليله:

قوله تعالى﴿ ...وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[٢٩٧].

قوله تعالى﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢٩٨].

قوله تعالى﴿ ...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢٩٩].

قوله تعالى﴿ ...إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٣٠٠].

---

[٢٩٦] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾الآية 222 سورة البقرة.

[٢٩٧] ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ الآية 205 سورة البقرة.

[٢٩٨] ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾الآية 77 سورة القصص.

[٢٩٩] ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ الآية 18 سورة لقمان.

قوله تعالى﴿ ...وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣٠١].

وقبل أن نورد الأحاديث النبوية المتعلقة بالحب، لا بد من الإشارة إلى لامعة لطيفة وهي أن علاقة الحب بين العبد وربه أمرٌ لا يكون إلا بمحبة رسول الله ﷺ ومحبة أوليائه. وهي شرط من شرائط الإيمان. ودليل ذلك في الأحاديث التالية:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"ثلاثٌ من كُن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلاّ لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"**[٣٠٢].

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما في كتاب الإيمان عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"**[٣٠٣].

وروى البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق ، باب التواضع، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: **"مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ،**

---

[٣٠٠] ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ الآية 141 سورة الأنعام.

[٣٠١] ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الآية 57 سورة آل عمران.

[٣٠٢] البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان.

[٣٠٣] البخاري ومسلم.

فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[٣٠٤].

وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة، عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال "**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**"[٣٠٥].

وقد ربط رسول الله ﷺ محبة الله ومحبة رسوله بوضوح وبأمرٍ جازمٍ ، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ "**أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي**"[٣٠٦].

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن النبي ﷺ وعد المحبين بالحشر مع من أحبوا، فيما رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، ومسلم في كتاب البر، عن أنس ﵁ قال "**أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ". قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: "أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ"، قَالَ**

---

[٣٠٤] البخاري.

[٣٠٥] البخاري.

[٣٠٦] الترمذي.

أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ"[٣٠٧] . والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

فيا أيها السالك، إذا أردت أن تحظى بشرف الحب الإلهي وحب رسوله ﷺ وحب أوليائه، وشعرت أن هذا الحب لم يتمكن في قلبك فأكثر من تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معانيه، وأكثر من ذكر الله تعالى بكل أنواعه، وتقرب إلى مولاك بالنوافل، وليكن هواك تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، وتأمل في صفات الله تعالى وأسمائه، وراقب آلاء الله ونعمه عليك، وليكن التواضع قرينك، وقم الليل بجد واجتهاد، واستغفر الله في الأسحار، وجالس الصالحين الصادقين من عباده، وإياك ثم إياك أن تدعي المحبة ادعاءً ظاهراً، وإذا حصل لك أُنْس فاكتم حبك إجلالاً لمولاك، وتحوَّل عن القواطع التي تبعدك عن كل ذلك. فإذا فعلت ذلك وجدت لهذه المحبة حلاوة في قلبك تغنيك عن ملذات الدنيا وشهواتها.

مراتب الحب

ذكر العلماء للمحبة مراتب عشراً، ذكرها الشيخ عبد القادر عيسى في كتابه «حقائق عن التصوف»:

أولها: العلاقة: وسميت بذلك لتعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة: وهي انصباب القلب إلى المحبوب بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في المنحدر.

---

[٣٠٧] البخاري ومسلم واللفظ هنا للبخاري.

الرابعة: الغرام: وهو الحب اللازم للقلب، لا يفارقه بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه.

الخامسة: الوداد: وهو صفو المحبة وخالصها ولبها.

السادسة: الشغف: وهو وصول الحب إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يُخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التتيم: وهو التعبد والتلذذ. يقال تيّمه الحب أي أذله وعبّده.

التاسعة: التعبد: وهو فوق التتيم، فإن العبد لم يبق له شيء من نفسه.

العاشرة: الخلة: انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبق موضع لغير المحبوب.

وأختم الموضوع بلطيفة ذكرت أن أحد الصوفية مر على رجلٍ يبكي على قبر فسأله عن سبب بكائه فقال: إن لي حبيباً قد مات. فقال لقد ظلمت نفسك بحبك لحبيب يموت، فلو أحببت حبيباً لا يموت لما تعذبت بفراقه.

والحب الصادق ينقل المريد إلى الركن الثاني من أركان الطريق وهو:

الركن الثاني: الامتثال

فُطر الإنسان على طاعة من يحب. فكيف إذا كان المحبوب هو الله ، وكيف إذا كان المحبوب هو حبيب الله سيدنا محمد ﷺ**!** فنعني بالامتثال من الناحية الشرعية: اتباع أوامر الله

ورسوله وأولي الأمر. قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ** ... ﴾[٣٠٨].

ذكر ابن كثير في تفسيره، المجلد الأول، صفحة 528 في تفسير هذه الآية قال: (أخرج الشيخان من حديث يحيى القطان قال: قال أبو داود حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن عبد الله حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: "**السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وفيما كره ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**"[٣٠٩]). فالأصل هو الشرع. والامتثال له هو الواجب. ولذلك جاءت صيغة عهد طريقتنا (أن طاعة الله والرسول تجمعنا، وأن معصية الله والرسول تفرقنا).

وأخرج الشيخان عن عبادة بن الصامت قال: "**دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**"[٣١٠]. وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**"[٣١١].

---

[٣٠٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ الآية 59 سورة النساء.

[٣٠٩] اللفظ للبخاري.

[٣١٠] البخاري ومسلم.

[٣١١] مسلم.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما {وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم} يعني أهل الفقه والدين. وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية {وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم} يعني العلماء. يقول ابن كثير بعد ذلك: "والظاهر والله أعلم أنها عامةٌ في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء".

وفي الحديث المتفق على صحته، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال (من أطاعني فقد أطاع الله. ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع أميري فقد أطاعني. ومن عصى أميري فقد عصاني). فهذه أوامر بطاعة العلماء والأمراء، ولهذا قال تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ أي اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ أي خذوا سنته، ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي فيما أمروكم به من طاعة الله في غير معصية ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لحديث "**إنما الطاعة في المعروف**"[٣١٢]. وقال تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[٣١٣]. وقال أيضاً ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾[٣١٤]. وفي هذا

---

[٣١٢] الحديث: عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ: ادْخُلُوهَا ، فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا، فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا: لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَالَ لِلْآخَرِينَ: لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، **إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ** " البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

[٣١٣] الآية 69 سورة النساء.

[٣١٤] الآية 52 سورة النور.

بشرى من الله لعباده بالفوز بالجنة وصحبة عباده المخلصين ﴿ ...**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾**﴾[٣١٥].

ثم إن هناك أمراً مباشراً بالطاعة لرسوله ﷺ، وأنها من طاعة الله تعالى. قال تعالى ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ... ﴾[٣١٦]. ومن هنا قال رسول الله ﷺ "**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**"[٣١٧]. وهناك وعيد من الله لعباده المخالفين لأمر رسوله ﷺ، وذلك بقوله تعالى﴿ ...**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٣١٨]. وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ "**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**

---

[٣١٥] ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الآية 71 سورة الأحزاب.

[٣١٦] ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾الآية 80 سورة النساء.

[٣١٧] الحديث: "**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ** ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ". البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

[٣١٨] ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الآية 63 سورة النور.

إِلَّا مَنْ أَبَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"[٣١٩].

إن التحقق الصحيح من معاني هذا الركن (الامتثال) لا يتم إلا بمتابعة شيخ عارف وعهد على الطاعة وصحبة وأخوة. فعن أبي ذر ﵁ عن النبي ﷺ قال **"من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"**[٣٢٠].

وهنا لا بد من الإشارة إلى ضرورة اتباع أوامر الشرع الشريف، وإلى تحري الجماعة العاملة بأحكام الشرع، بعيداً عن أدعياء السلوك الذين ابتلي بهم أهل الله.

وفي هذا المعنى أنقل نص «الرسالة الخيرية» لحضرة سيدنا ومرشدنا العارف بالله تعالى الشيخ خير الدين الشريف، حيث قال: (الحمد لله ولي التوفيق، الهادي إلى أقوم طريق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله القائل (تخلقوا بأخلاق الله) وعلى آله وأصحابه ومن والاه، ومن اتبع سنته وعمل بشريعته إلى يوم يلقاه.

وبعد، فإني أعرض على مسامع إخواني بعض كُليمات لتكون سبباً لنجاحهم وفلاحهم إن شاء الله في الدارين إن قبلوها وعملوا بمقتضاها، وإلا فلا. والسلام على من اتبع الهدى.

من المعلوم لدى العموم أن سلوك طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية التي تلقيناها عن حضرة سيدنا المرشد المتصل سنده الطاهر بحضرة المرشد الأعظم ﷺ، على نهج الشريعة المحمدية الغراء على خط مستقيم لا اعوجاج فيه. إذ قامت الآثار والأدلة القوية والبراهين القطعية العقلية والنقلية أن رجال السند جميعهم مرشدون. ومن علائم الإرشاد المتابعة لأمر الشارع الأعظم

[٣١٩] البخاري.

[٣٢٠] المستدرك على الصحيحين.

ﷺ. فإنه لا يمكن لوصول هذه الدرجة الرفيعة وارثٌ إلا بالعبادة. ولا تسمى عبادة إلا إذا كانت منطبقة على الكتاب والسنة. لأن شريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع. انظر قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١ ﴾[٣٢١]. فإن اتِّباعه ﷺ فيه الرقي الأعلى من محبٍ إلى محبوبٍ ، لما في ذلك من الدلالة على كيفية العبادة المخصوصة المطلوبة. ومن هنا تُعلم الشريعة والطريقة والحقيقة. فإن الشريعة هي الأقوال الواردة في الكتاب والسنة. والطريقة هي المتابعة لها بالفعل. ونتيجة الأفعال المشاهدة الحقيقية. فامتثال الأوامر والنواهي هو الركن الحقيقي إذ اً في الطريق. قال تعالى ﴿ ...وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ... ﴾[٣٢٢]. وإن أركان الإسلام خمسة، جميعها داخلة ضمن قوله ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾، وكل أمر يخالف خط الشرع الشريف، أي الكتاب والسنة ، داخل ضمن قوله: ﴿ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾. وقد قال ﷺ: "**مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ اللَّهُ، إِلا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ، إِلا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ**" [٣٢٣] ولذا فإن خطاب الله موجه إليه ﷺ، وهو الآمر والناهي، وعلى ذلك فلا جدال ولا خلاف في أن الطريقة هي المتابعة للشريعة المحمدية. قال

---

[٣٢١] الآية 31 سورة آل عمران.

[٣٢٢] ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧ ﴾ الآية 7 سورة الحشر.

[٣٢٣] الحديث: **مَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ اللَّهُ، إِلا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئًا مِمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ، إِلا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ** ، وَإِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِيَ، أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ. البيهقي.

تعالى: ﴿ **وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣** ﴾[٣٢٤].

وقال سيدي العارف بالله الشيخ مصطفى البكري:

واتبع شريعة أحمدٍ خير الورى   من حاد عنها ربنا أرداهُ

وإنَّ سَيْر إخواننا وسلوكهم في سائر الأماكن هو على هذه الخطة المستقيمة ، كما هو مُشاهَدٌ للعامِّ والخاصّ، والحمد لله. ولا ريب في أن تلك الخطة مرتبةٌ عظيمةٌ قلَّ من يصل إليها إلا من سبقت له السعادة في الدارين. غير أني الآن أحيط إخواني علماً بأن قوماً في هذا الزمان ابتدعوا طرقاً مخالفةً لطريق القوم، ويزعمون أنها طريقة الرحمن، كلا بل هي طريقة أبيهم الشيطان: منها الخلوة بالنساء الأجنبيات، ومعهن ربما زاد بعضهم المعانقة والقبلة والملامسة. وسلك آخرون مع الشباب مثل ذلك. وهذه مما لا يخفى أنها من تحيّل الشيطان ومكايده، ومن حبائله ومصائده.

قال تعالى في حق نساء النبي ﷺ، مع علو مرتبتهن وكونهن أمهات المؤمنين في الحرمة والتحريم، بل أعظم منهن في الوقار والتعظيم : ﴿ ...**وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ** ... ﴾[٣٢٥]. فمن ادَّعى أنه أقوى من

---

[٣٢٤] الآية 153 سورة الأنعام.

[٣٢٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ

الصحابة، وأن النساء اللاتي يخلو بهن أطهر قلوباً وأملك نفوساً من نساء الرسول ﷺ، فقد أعظم الافتراء وأكبر الاجتراء. هذا في حديث الخلوة وحدها، فكيف بمن زاد على ذلك ! وفي الصحيح **"عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي، وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا ، أَوَ قَالَ شَيْئًا"** [٣٢٦]. وإذا كان رسول الله ﷺ خاف أن يوقع الشيطان في قلوب الناس أنه كان عنده امرأة أجنبية، فكيف نسلِّم لغيره أن لا يوقع الناس في ذلك. وقد ورد في الخبر عن سيد البشر **"مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ"** [٣٢٧]. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **"لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَاكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: ارْجِعْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ"** [٣٢٨].

وروي أن النساء اجتمعن عنده ﷺ، وطلبن منه أن يعاهدنه باليد، فقال **"لا تمس يدي امرأة، ولكن قولي لامرأة كقولي لمائة"** [٣٢٩]. فبايعهن بالكلام من غير ملامسة. وأنه لما طلبن

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الآية 53 سورة الأحزاب.

[٣٢٦] مسلم.

[٣٢٧] البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

[٣٢٨] البخاري.

[٣٢٩] عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسَاءٍ نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا مَا فِي الْقُرْآنِ (أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) سورة الممتحنة آية 12 الْآيَةَ، قَالَ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَعْتُنَّ, قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ

منه البركة وضع يده في ماء ثم نُقل إليهن فوضعن أيديهن فيه. فإذا كان سيد الأولين والآخرين يجتنب هذه الأمور، وغيره يقتحمها، أهو أعظم منه؟ فكيف يخفى على عاقل قُبح ما يتعاطون؟ نسأل الله السلامة بمنِّه وكرمه.

لهذا أُعلن لعموم إخواني الكرام، أن يفروا من هؤلاء القوم فرارهم من الأسد أو الموت. وأن يجتنبوا كل ما يخالف الشرع الشريف. فإنَّ مرضى القلوب ، أهل الغفلة، يجب بترهم بتراً أزلياً من هذا المجمع الطاهر امتثالاً للأمر التشريعي. قال تعالى : ﴿..وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٣٣٠] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾[٣٣١] ﴿...وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ...﴾[٣٣٢].

أَنْفُسِنَا, قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُصَافِحُنَا؟ قَالَ: **إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ**". الإمام أحمد.

[٣٣٠] ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ الآية 199 سورة الأعراف.

[٣٣١] الآية 29 سورة النجم.

[٣٣٢] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ الآيتان 28 و 29 سورة الكهف.

وليكن معلوماً لدى العموم أنه ليس منا من يخالف الكتاب والسنة، وليس منا من يخالف نهج وخط أوامر الشارع الأعظم ﷺ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[٣٣٣].

فالحذر الحذر أيها الإخوان الكرام. وفي الختام اقبلوا مني فائق الاحترام، سائلاً منه تعالى أن يسلك بي وبكم طريق أهل الصفا، ويجمّلني وإياكم بجمال حضرة المصطفى ﷺ، وأن يجعلنا من أهل الاختصاص، ويحلنا من قيد الأقفاص، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين). انتهى كلام سيدنا خير الدين الشريف.

الركن الثالث: الذكر

الذكر هو الركن الثالث من أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية. وكلمة الذكر في القرآن الكريم لها معان كثيرة. فعني بها في معظم النصوص التسبيح والتكبير والتهليل والذكر بالأسماء، والصلاة على رسول الله ﷺ وغير ذلك. كما جاء ذلك في قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ..﴾[٣٣٤]، وقوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾[٣٣٥]. وعني بها مرة القرآن الكريم نفسه في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[٣٣٦]. وعني بها أخرى صلاة الجمعة بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

[٣٣٣] الآيتان 103 و 104 سورة الكهف.

[٣٣٤] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ الآية 103 سورة النساء.

[٣٣٥] الآية 8 سورة المزمل.

[٣٣٦] الآية 9 سورة الحجر.

ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ... ﴾[٣٣٧].

وعني بها مرة أخرى العلم في قوله تعالى ﴿ ...فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾[٣٣٨].

وعندنا كما فهمنا من أشياخنا أن الذكر هو جميع ذلك. لكن المعتبر فيه ما غلب استعماله عرفاً. ولفظ الذكر قد غلب استعماله في ذكر الله حقيقة، وهو: الإكثار من ذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتكبيراً وغير ذلك من الصيغ. والذاكر عندنا لا يكون ذاكراً إلا إذا كان مكثراً في ذكره، لأن الإقلال من الذكر صفة المنافقين بدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢ ﴾[٣٣٩].

فالأصل هو الإكثار من الذكر. وفي كثير من الآيات ورد الذكر مقروناً بكلمة كثيراً: قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ ﴾[٣٤٠].وقال تعالى ﴿ ...وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا

---

[٣٣٧] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ ﴾الآية 9 سورة الجمعة.

[٣٣٨] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ الآية 7 سورة الأنبياء.

[٣٣٩] الآية 142 سورة النساء.

[٣٤٠] الآية 41 و 42 سورة الأحزاب.

عَظِيمًا ﴾[٣٤١]. وقال تعالى ﴿ ...وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾[٣٤٢].
وقال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[٣٤٣].

قال مجاهد: (لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً). وقال ابن عباس رضي الله عنهما (المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدواً وعشياً، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى).

وعلى هذا فالذكر هو الدواء النافع لكل أمراض النفس، وهو الصاقل للقلوب، الدافع للبلاء والحزن والهم والغم، الجالب للسكينة والأنس والصبر والرضى والحب وغير ذلك. قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣٤٤] ،ولأنَّ وقع الذكر على قلوب المنافقين ثقيل، فكثيراً ما تجدهم ينكرون على الذاكرين ذكرهم ، فلا يلتفت أحد إلى ما يقال من أهل الغفلة عن الذكر والذاكرين.
ومصداق ذلك ما أخرجه مسلم في باب الذكر، والترمذي في كتاب الدعوات عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **"سَبَقَ الْمُفْرِدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفْرِدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ** :

[٣٤١] الآية 35 سورة الأحزاب.

[٣٤٢] ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ الآية 41 سورة آل عمران.

[٣٤٣] الآية 10 سورة الجمعة.

[٣٤٤] الآية 28 سورة الرعد.

الْمُسْتَهْتَرُونَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ، يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ فَيَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافًا "[345].

والمستهتَرون هم المولعون بالذكر، المكثرون منه، ولا يبالون بما قيل فيهم، ولا بما فعل بهم.

وفي سنة الرسول ﷺ كثيرٌ من الأحاديث في فضل الذكر ، أذكر بعضها اختصاراً: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل وما رياض الجنة ؟ قال: حِلَقُ الذكر**"[346]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء. قال فجثا أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله حِلْهُم لنا نعرفهم (أي صفهم لنا) قال هم المتحابون في الله من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه**"[347].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم. فقيل ومن هم أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر في المساجد** "[348]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين**"[349].

---

[345] الحديث في الترمذي، ورواه الإمام مسلم بلفظ: كان رسول الله ﷺ يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ.

[346] **أخرجه** الترمذي في كتاب الدعوات، وحسّنه.

[347] الطبراني بإسناد حسن.

[348] أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي وغيرهم، واللفظ هنا لابن حبان.

[349] الترمذي في كتاب فضائل القرآن وقال حديث حسن، والدارمي، والبيهقي، والطبراني واللفظ هنا له.

الجهر والإسرار بالذكر:

شرع الذكر سراً وجهراً، بأدلة كثيرة ، إلا أن الذي عليه العلماء العاملون أن الجهر بالذكر أفضل، إذا خلا من إيذاء قارئ أو نائمٍ أو مصلٍ، وإذا خلا من حب الشهرة والرياء.

ومن الأدلة الشرعية النبوية التي تَرُدُّ على من ينكر الجهر بالذكر:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي** (وهذا دليل على ذكر السر) ، **وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ** (وهذا دليل على ذكر الجهر، والذكر في الملأ لا يكون إلا جهرياً)، **وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**"[٣٥٠].

وعن زيد بن أسلم ﷺ قال: قال ابن الأدرع ﷺ: "**انطلقت مع النبي ﷺ فمر برجل في المسجد يرفع صوته. قلت يا رسول الله : عسى أن يكون مرائياً. قال: لا، ولكنه أوَّاه**"[٣٥١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "**إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي ﷺ. وقال ابن عباس : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعتُهُ**"[٣٥٢].

---

٣٥٠ البخاري.

٣٥١ البيهقي كما في الحاوي للفتاوي للسيوطي.

٣٥٢ البخاري ومسلم.

وعن السائب ﵁ أن رسول الله ﷺ قال **"جاءني جبريل قال: مُر أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير"**[٣٥٣].

أما الذين يستدلون بالآية الكريمة ﴿ **وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥** ﴾[٣٥٤]، فللعلماء آراء واضحة في ذلك: منها ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره أن هذه الآية مكية كآية الإسراء ﴿ **...وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا** ... ﴾[٣٥٥]، وقد نزلت حين كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبون القرآن ومن أنزله، فأُمر بترك الجهر سداً للذريعة، كما نُهي عن سب الأصنام لذلك في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ** ... ﴾[٣٥٦]، وقد زال هذا المعنى، كما كان الحال في قصة الفاروق ﵁ في توزيع الصدقات على المؤلفة قلوبهم، فقد أبى ذلك في المدينة عندما قويت شوكة الإسلام، وقال كنا نؤلف قلوبهم لما كان الإسلام طريداً.

---

[٣٥٣] أحمد وأبو داود والترمذي وصححه السيوطي في كتابه «الحاوي للفتاوي» ، وأخرجه البزار والحاكم في المستدرك وصححه.

[٣٥٤] الآية 205 سورة الأعراف.

[٣٥٥] ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ الإسراء: ١١٠.

[٣٥٦] ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾ الآية 108 سورة الأنعام.

ثم إن جماعة من المفسرين منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ مالك، وابن جرير حملوا الآية على الذاكر حال قراءة القرآن، وأنه أمر بالذكر على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن ترفع عنه الأصوات.

وقد ذكر بعض العارفين في ذلك أن الأمر في الآية خاص بالنبي ﷺ الكامل المكمَّل، وأما غيره ممن هم محل الوساوس فمأمورون بالجهر ، لأن الجهر أشد تأثيرًا في دفعها . ويؤيد ذلك هذه الرواية المدنية، والله أعلم: "**عَنْ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ لَيْلَةً فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ ﷺ يُصَلِّي يَخْفِضُ مِنْ صَوْتِهِ، قَالَ: وَمَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ صَوْتَكَ ، قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مَنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَقَالَ لِعُمَرَ: مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَكَ، قَالَ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. زَادَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا، وَقَالَ لِعُمَرَ: اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا. حَدَّثَنَا أَبُو حُصَيْنِ بْنُ يَحْيَى الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِهَذِهِ الْقِصَّةِ، لَمْ يَذْكُرْ: فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا، وَلِعُمَرَ: اخْفِضْ شَيْئًا، زَادَ: وَقَدْ سَمِعْتُكَ يَا بِلَالُ وَأَنْتَ تَقْرَأُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، وَمِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ، قَالَ: كَلَامٌ طَيِّبٌ يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كُلُّكُمْ قَدْ أَصَابَ**"[٣٥٧].

ويستدل البعض على كراهية الذكر بالجهر بالآية الكريمة ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥ ﴾[٣٥٨]. ولم يتنبه هؤلاء إلى أن هذه الآية تتكلم عن الدعاء

---

[٣٥٧] أحمد، وأبو داود، والترمذي، والمستدرك على الصحيحين، والبيهقي. واللفظ هنا لأبي داود.

[٣٥٨] الآية 55 سورة الأعراف.

(ادعوا)، لا عن الذكر، والإسرار في الدعاء أفضل، لأنه أقرب للإجابة ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾**﴾[٣٥٩].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: "**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلاةِ، إِذَا سَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ، يَرْفَعُ بِذَلِكَ صَوْتَهُ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، لا نَعْبُدُ إِلا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسِنُ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**"[٣٦٠].

وعلى هذا فلا بأس بأنواع الذكر وأشكاله كلها، سرها وجهرها. وقد تميزت طريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية بحرصها على أداء الذكر بكل أشكاله وألوانه ضمن أورادها الصباحية والمسائية.

حكم الذكر بالاسم المفرد (الله):

وهذا الذكر أيضاً واجب بالأمر الإلهي الوارد في:

قوله تعالى﴿**وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾**﴾[٣٦١].

قوله تعالى﴿**وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾**﴾[٣٦٢].

---

[٣٥٩] الآية 3 سورة مريم.

[٣٦٠] الطبراني.

[٣٦١] الآية 8 سورة المزمل.

قوله تعالى﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[٣٦٣].

قوله تعالى﴿ ...قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[٣٦٤].

أما السنة النبوية، فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال **"لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: اللهُ اللهُ"**[٣٦٥]، وهنا ورد لفظ الجلالة مكرراً.

وقد اعترض بعضهم على الذكر بهذا الاسم لأنه لا يؤلف جملة تامة مفيدة كما في قولنا : يا لطيف، يا ودود. والجواب على ذلك أن الذاكر للأسماء الإلهية وللاسم المفرد لا يكلم مخلوقاً يجد عسراً في إفهامه، فهو يذكر الله تعالى العالم بنفسه، المطلع على قلبه.

قال ابن عجيبة وأبو حنيفة والكسائي والشعبي وإسماعيل بن اسحق وأبو حفص: أن لفظ (الله) هو الاسم الأعظم. وهو اعتقاد العارفين بالله، نفعنا الله بهم.

حكم الذكر الجماعي:

وقد اعترض البعض على الذكر الجماعي ومشروعيته بسبب أن منهج طريقتنا يقوم في جانب منه على الذكر الجماعي. فأسوق الأدلة الشرعية التي تثبت صحة هذا المنهج:

---

[٣٦٢] الآية 25 سورة الإنسان.

[٣٦٣] الآيتان 14 و 15 سورة الأعلى.

[٣٦٤] الآية 91 سورة الأنعام.

[٣٦٥] مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، والترمذي في كتاب الفتن، وأحمد في مسنده.

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ **"إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"**[٣٦٦].

وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ **"إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قيل وما رياض الجنة؟ قال: حِلَقُ الذكر"**[٣٦٧]. وحِلَقُ الذكر لا يشكلها فرد ولا بد لها من جماعة.

وعن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ **"ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء. قال فجثا**

---

[٣٦٦] البخاري.

[٣٦٧] **أخرجه** الترمذي في كتاب الدعوات، وحسّنه.

أعرابي على ركبتيه فقال: يا رسول الله حِلْهُم لنا نعرفهم (أي صفهم لنا) قال هم المتحابون في الله من قبائل شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه"[٣٦٨].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"** [٣٦٩]. وفي ذلك دليل على جواز الاجتماع للذكر الجهري الجماعي.

وعن أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **"ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل، لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم منادٍ من السماء أن قوموا مغفوراً لكم فقد بُدِّلَت سيئاتكم حسنات"**[٣٧٠].

وهكذا تظهر أهمية الذكر الجماعي، حيث يستفيد الغافل من الذاكر، والمظلم من صاحب النور، والجاهل من صاحب العلم.

عن معاوية، **"خرج رسول الله ﷺ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ**

---

[٣٦٨] الطبراني بإسناد حسن.

[٣٦٩] البخاري.

[٣٧٠] الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح.

إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ؟ قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ"[٣٧١].

الأوراد الفردية واليومية

الأوراد الفردية:

إذا أراد السالك الاستزادة من الأذكار بعد أوراده اليومية الراتبة وتهيأت له أسباب ذلك، فله أن يقرأ ما شاء من الأوراد الاختيارية التالية صباحاً ومساءً بعد ورد السبحة:

يا الله 66 مرة، يا لطيف يا حفيظ 133 مرة، يا كريم يا فتاح 100 مرة، يا ودود يا وهاب 100 مرة.

ورد الأسماء السبعة : 300 مرة، يقرأ في كل يوم وليلة مرة وهو: (لا إله إلا الله. الله. هو. حيّ. قيوم. حق. قهّار).

أما الاسم الأعظم: فيذكر في السِّرِّ في جميع الأوقات بلا انقطاع ، وهو (الله) مع المد. وهو من الضروريات لمريدي الآخرة.

ورد اللطيف الاختياري: فيقرأ ضحى كل يوم، حيث تكرر كلمة يا لطيف (16666 مرة). ويبدأ بقول: يا لطيف (66 مرة) بالمد المتأني، و(600 مرة) أسرع قليلاً، و(16000

---

[٣٧١] مسلم.

مرة) بشدة وسرعة مع مراعاة المساواة للجماعة إذا قرىء بشكل جماعي ، ثم يختم بعشر مرات بالمد المتأني. ويختم كما تختم الأوراد.

أذكار وأدعية يومية:

دعاء الدخول إلى المسجد: تقدم برجلك اليمنى وقل: بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، اللهم اغفر لي، وافتح لي أبواب رحمتك.

دعاء الخروج من المسجد: تقدم برجلك اليسرى وقل: بسم الله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، اللهم اغفر لي، وافتح لي أبواب فضلك.

أذكار النوم: تتوضأ قبل النوم ثم تجمع كفيك وتنفث فيهما وتقرأ (قل هو الله أحد) و(المعوذتين)، ثم تمسح بهما جسدك، تبدأ من رأسك. تفعل ذلك ثلاث مرات ، ثم تقرأ آية الكرسي، ثم تقول: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت.

عند الاستيقاظ: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

قبل الطعام: بسم الله الرحمن الرحيم. وإذا نسيت فقل حينما تذكر: بسم الله أوله وآخره.

بعد الطعام: الحمد لله الذي أطعمني وسقاني وجعلني من المسلمين.

عند الوليمة: أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة الأخيار، وذكركم الله فيمن عنده.

عند الإفطار: اللهم إني لك صمت، وعلى رزقك أفطرت. وتفطر على تمرات، وإن لم تجد فعلى ماء، ثم تقول: ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله. ثم تصلي المغرب وسنته، ثم تتابع تناول إفطارك. ولك أن تدعو بما تشاء من الدعاء وقت إفطارك لأنه وقت مستحبٌ للدعاء.

عند وداع المسافر: المقيم للمسافر: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك. والمسافر للمقيم: أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه.

دعاء السفر: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطْوِ عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في المال والأهل والولد.

عند المصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها.

عند دخول الخلاء: تقدم برجلك اليسرى، وقل: اللهم إني أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث.

عند الخروج من الخلاء: تقدم برجلك اليمنى، وقل: غفرانك.

كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الركن الرابع: الفكر

لا شك بأن الفكر هو عصب المعرفة، وبه يمكن التعرض للمعاني والفهوم، ورصد موجات العلوم. وقد عرف الكثيرون أهميته ومشروعيته من خلال قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[٣٧٢]. إلا أن كثيرين قد غفلوا عن كيفيته وكيف يمكن أن يكون عبادة. وما ربط طريقتنا الخلوتية لهذه العبادة وجعلها ركناً من أركان الطريق إلا ليفهم ذلك ، فهو الركن اللاحق لركن الذكر ، لقوله تعالى في تتمة الآية وتعريف أولي الألباب بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ..﴾[٣٧٣].

فكما أن الله قد أثنى على الذاكرين المتفكرين، فإن رسول الله ﷺ قد أولى هذه العبادة عناية خاصة، فعن عطاء قال: "**انطلقت يوماً أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول رسول الله ﷺ: زر غباً تزدد حباً. قال ابن عمير: فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، قال: فبكت، وقالت: كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أتعبد لربي عز وجل، فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذن الصبح. فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة** ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾[٣٧٤]. ثم

---

[٣٧٢] الآية 190 سورة آل عمران.

[٣٧٣] الآية 191 سورة آل عمران.

[٣٧٤] الآية 190 سورة آل عمران.

قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها "[٣٧٥]. فقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن ؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.

وعن طاووس قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم : يا روح الله ، هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم، من كان منطقه ذكراً، وصمته فكراً، ونظره عبرة، فإنه مثلي.

وقال الحسن: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو. وفي قوله تعالى ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ**... ﴾[٣٧٦]، قال أمنع قلوبهم من التفكر في أمري.

وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عِبادة أبي ذر فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر.

وكان لقمان يطيل الجلوس وحده، وكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان، إنك تديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان آنس لك ، فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكر ، وطول الفكر دليل على طريق الجنة. وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل. وقال بشر الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله لما عصوه.

---

[٣٧٥] صحيح ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان.

[٣٧٦] ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الآية 146 سورة الأعراف.

وإذا أردنا معرفة حقيقة الفكر فإن الأمر يطول ويصعب في مكان لا تحمد فيه الإطالة والصعوبة، وتسهيلاً على إخوتنا أحثهم على التفكر في أمورٍ جانبٌ منها يتعلق بآفات النفس والتفكر بالخلاص منها والسعي لتحويلها إلى خصال محمودة. فعلى السالك أن يتفكر في آفات نفسه: كالبخل والكبر والعجب والحسد وشدة الغضب والرياء وحب المال والجاه وشره الطعام والوقاع. هذه الآفات على السالك التفكر بها للخلاص منها.

وجانب آخر يتعلق بأمور محمودة على السالك التفكر فيها والإكثار منها : كالندم على الذنوب والرضى والصبر والشكر والزهد والإخلاص وحسن الخلق والحب. ثم إن على السالك أن يتفكر كل يوم ويحاسب نفسه بقية النهار على نهاره كيف أمضاه، وهل اجتنب النواهي وجاء بالأوامر الشرعية.

وتسهيلاً على السالك في هذا الركن من أركان الطريق أنصح بتوجيه الأسئلة التالية للنفس كل يوم حتى نقرن الفكر بالعمل، فيتفكر السالك بأمره ويسأل نفسه هذه الأسئلة:

هل تفكرت في بديع صنع الخالق في أرضه وسمائه وجميع خلقه؟

هل تفكرت في نفسك وبديع صنع الله لك؟

هل ذكرت الله عند قيامك من نومك؟

هل صليت الفجر جماعة؟

هل قرأت أوراد الصباح؟

هل استفتحت يومك بسؤال الله لك أن يرزقك الرزق الحلال؟

هل سألت الله أن يدخلك الجنة واستعذت به من النار؟

هل صليت اليوم السنن الراتبة والتطوع؟

هل واظبت على قراءة الأوراد؟

هل كنت خاشعاً اليوم في صلاتك وتدبرت معانيها؟

هل اتقيت الله في ملبسك ومشربك وطعامك؟

هل حمدت الله على نعمه؟

هل قرأت وتعلمت وحفظت وتدبرت شيئاً من كتاب الله؟

هل حفظت سمعك وبصرك ولسانك وجوارحك عن الحرام؟

هل صليت على النبي ﷺ اليوم؟

هل عدت مريضاً؟

هل أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر؟

هل شيعت جنازة؟

هل نصحت في الله؟

هل وصلت من قطعك؟

هل عدلت في الغضب والرضى؟

هل عفوت عمن ظلمك وأعطيت من حرمك؟

هل كان صمتك فكراً ونطقك ذكراً ونظرك عبرة؟

هل أحببت وأبغضت في الله؟

هل أهديت هدية لتأليف قلب بزيادة حب ومودة؟

هل حاولت الإقلال من الضحك؟

هل تفكرت في نعم الله عليك؟

هل بكيت من خشية الله أو حباً به؟

هل تصدقت اليوم؟

هل ابتسمت في وجه أخيك؟

هل نطق لسانك غيبة ونميمة وسخرية؟

هل تذكرت الموت والقبر والحساب والصراط والنار؟

هل صمت نافلة؟

هل ختمت يومك بتوبة نصوحاً؟

وهكذا يستقيم أمر الطاعة من خلال الفكر الدال على الخير. ثم ليتأمل قول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ.. ﴾[٣٧٧]، وقوله ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[٣٧٨]. ويتأمل حقيقة خلقه من نطفة ، ويتفكر في نفسه ، فإن في خلقه من العجائب الدالة على عظمة الله ما يفني عمره في النظر إلى أقله. ثم ليتأمل الكون وخلقه ، وكيف خلق الله في باطن الأرض خيرات جمة للإنسان، الذهب والفضة والحديد والنفط. وفي التراب، كيف يخرج منه الزرع مختلف الألوان. والبحار العظيمة وما فيها من الأحياء والأرزاق ، وكيف جعل الله فيها الأحجار الكريمة واللؤلؤ والصدف والمرجان والعنبر. والماء الذي جعل منه كل شيء حي، ولولاه لما كانت الحياة، ويتفكر الإنسان ماذا لو منع عنه الماء. ثم يتفكر بالهواء والأكسجين ومعادلته العلمية الدقيقة، والغيوم والرعد والمطر والثلج والبرد والشهب والصواعق، والطير التي تسبح كما يسبح حيوان البحر في الماء، والسماء وعظمتها وكواكبها وشمسها وقمرها، ودخول الليل بالنهار والنهار بالليل، ومسير الشمس واختلاف الفصول من الصيف إلى الشتاء والربيع والخريف، وكيف تستقيم الحياة على هذا الشكل الرتيب، وماذا لو اختل هذا الميزان.

ومن غفل عن هذا الفكر فلن يعرف ربه ، وقد نسي نفسه واشتغل ببطنه وفرجه، فتفكر بذلك، فإن هذا هو مفتاح المعرفة.

---

[٣٧٧] ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ١٠١ ﴾ الآية 101 سورة يونس.

[٣٧٨] الآية 21 سورة الذاريات.

الركن الخامس: الصمت

هذا هو الركن الخامس من أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية، ويدخل هذا الركن ضمن أنواع مجاهدة النفس وترويضها وتحويل آفاتها المذمومة إلى صفات محمودة ، وهي ركيزة من الركائز الأساسية التي تعنى بها الطريق. ومعنى الصمت السكوت، وعكس الصمت آفة من آفات اللسان الذي إذا ترك له الحبل على الغارب استرسل في الثرثرة وكثرة الكلام التي تورد الموارد. وآفات اللسان كثيرة ليس المكان هنا لذكرها، إلا إنه لا يؤمَن جانب اللسان وخطره إلا بهذا الركن (الصمت)، الذي يجمع الهمة ويُفْرِغ الصبر. قال تعالى ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٣٧٩]، وقال أيضاً ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٣٨٠]. وقال تعالى في وصف المؤمنين ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[٣٨١]. ففي هذه الآيات تنبيه وتحذير من الله بأن العبد مراقب فيما يقول ، ويُكتب عنه ذلك، ومدح للمؤمنين الذين يُعرِضون عن فضول الكلام وما لا حاجة لهم بقوله، ونهي عن الخوض فيما لا يعني، ومفارقة أهل اللغو الذين لا هَمَّ لهم سوى الخوض في الباطل وفي أعراض الناس والغفلة عن ذكر الله وما والاه.

---

[٣٧٩] الآية 18 سورة ق.

[٣٨٠] الآيات 1 – 3 سورة المؤمنون.

[٣٨١] الآية 55 سورة القصص.

وقد حذر رسول الله ﷺ من اللسان وآفاته وثرثرته، فعن عبد الله بن عمر و قال: قال رسول الله ﷺ **"مَنْ صَمَتَ نَجَا "**[٣٨٢]. وعن عقبة بن عامر قال **"قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك عليك لسانك، ولْيَسَعَكَ بيتك، وابْكِ على خطيئتك"**[٣٨٣].

وعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ **"مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ** (اللسان)، **وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ** (الفرج)، **أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ"**[٣٨٤].

وعن معاذ بن جبل قال **"قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال ثكلتك أمك يا ابن جبل، وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم"**[٣٨٥].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ، فَقَالَ: مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانَ عَلَى حِدَتِهِ"**[٣٨٦].

وفي الحديث المرسل، ورجاله ثقات، عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ **"ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن؟ الصمت وحسن الخلق"**[٣٨٧].

---

[٣٨٢] الترمذي.

[٣٨٣] الترمذي.

[٣٨٤] البخاري.

[٣٨٥] الترمذي وصححه، وابن ماجة، والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

[٣٨٦] الورع لابن أبي الدنيا.

[٣٨٧] كتاب الصمت وآداب اللسان.

وفي الحديث المتفق عليه قال أبو هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"**[٣٨٨].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول **"إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"**[٣٨٩].

والأحاديث في الصمت كثيرة، كلها تدل على فضيلته وأن فيه النجاة والسلامة والفلاح.

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[٣٩٠].

وقد تحدث الإمام الغزالي رحمه الله في آفات اللسان وذكرها وفصّلها. وأختصرها للسالكين ليتيسر الفهم:

الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعني: لقوله ﷺ: **"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"**[٣٩١].

الآفة الثانية: الخوض في الباطل: وهو الكلام في المعاصي ، كذكر مجالس الخمر ومقامات الفساق. وقريب من ذلك الجدال والمراء ، وهو كثرة الملاحاة (المنازعة) للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعث على ذلك الكبر والعجب. فينبغي للسالك أن ينكر المنكر ويبين الصواب، فإن قُبِل منه ذلك وإلا ترك المماراة. أو فيما يتعلق بأمور الدنيا فلا صحة

[٣٨٨] البخاري ومسلم.

[٣٨٩] البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.

[٣٩٠] الآية 114 سورة النساء.

[٣٩١] أحمد، والترمذي، وابن ماجة.

للجدال فيها. عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال **"إن أبغض الرجال إلى الله الْأَلَدُّ الخَصِم"**[٣٩٢].

الآفة الثالثة: التقعر في الكلام: ومعناه التشدق وتكلف السجع. عن أبي ثعلبة قال، قال رسول الله ﷺ **"إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة مساويكم أخلاقاً الثرثارون المتشدقون المتفيهقون"**[٣٩٣]. والتفيهق: التنطع في الكلام يملأ فمه به لإظهار فصاحته لما في ذلك من كبر وعجب.

الآفة الرابعة: الفحش والسب والبذاء: عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ **"إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش "**[٣٩٤]. وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ **"ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"**[٣٩٥].

الآفة الخامسة: المزاح: إلا ما كان يسيراً منه فلا يُنهى عنه إذا كان صادقاً ، فإن النبي ﷺ كان يمزح، ولا يقول إلا حقاً، فإنه قال للرجل: يا ذا الأذنين، وقال للعجوز: إنه لا يدخل الجنة عجوز، ثم قرأ ﴿ **إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾** ﴾[٣٩٦]، وقال لأخرى: زوجك

---

[٣٩٢] البخاري.

[٣٩٣] أحمد.

[٣٩٤] الحديث: "إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، **فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ** ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الشُّحُّ أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا" . ابن حبان في صحيحه.

[٣٩٥] الترمذي.

[٣٩٦] الآيتان 35 و 36 سورة الواقعة.

زوجك الذي في عينيه بياض ! فهذا مزاحه ﷺ، وكان حقاً ونادراً. أما الإفراط فيه والمداومة عليه فهو منهي عنه لأنه يسقط الوقار ويوجب الضغائن والأحقاد.

الآفة السادسة: السخرية والاستهزاء: ومعنى السخرية الاحتقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه. وقد يكون ذلك بالمحاكاة في العمل والقول ، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وكلُّه ممنوع في الشرع.

الآفة السابعة: إفشاء السر ، وإخلاف الوعد ، والكذب في القول واليمين: إلا ما رُخِّص فيه الكذب لزوجته لإصلاحها، وفي الحرب ، ولإصلاح ذات البين. وتباح المعاريض لقوله ﷺ "**فِي الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ** "[٣٩٧]، وتباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح، وإلا فالاسترسال بها قد يؤدي إلى الكذب.

الآفة الثامنة: الغيبة: والنهي عنها واضح في الكتاب والسنة لقوله تعالى : ﴿ ...**وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ** ... ﴾[٣٩٨]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال "**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ** "[٣٩٩]. وعن أبي برزة الأسلمي

---

[٣٩٧] كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، عن عمران بن حصين.

[٣٩٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ الآية 12 سورة الحجرات.

[٣٩٩] الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ, أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: **فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ** كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ, قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ

قال: قال رسول الله ﷺ **"يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ"**[٤٠٠]. **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ"**[٤٠١].

فهذه بعض آفات اللسان ، وتلك هي فضيلة الصمت الذي هو مفتاح الحكمة ومهد الذكر.

الركن السادس: العزلة (الخلوة)

وهي نوع من أنواع الاعتكاف يقصد بها تنقية القلب مما علق به من ران أثناء ممارسة الحياة العادية بما فيها من مفاتن ومعاصٍ، فينصح السالك ما بين الفترة والأخرى بهذا الاعتكاف، يفرد فيه القلب لذكر الله والتفكر بمخلوقاته. ولا بد لهذه من شيخ يعالج آفات النفس كما يعالج الطبيب علل الجسد.

أما مدتها فيحددها الشيخ المعالج كما يحدد الطبيب كمية الدواء ومدته. ولا يفهم من هذا المعنى الرهبنة، كما عند النصارى، أو الانقطاع عن الناس وترك الأهل والأولاد بلا معيل، فإن هذا تواكل ينافي التوكل، حاربه الشرع الحنيف. فهي إذ اً ابتعاد عن الدنيا بكل زخارفها

اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ. البخاري.

[٤٠٠] أبو داود.

[٤٠١] مسلم.

فترة من الوقت، يستريح فيها الجسد والفكر من مشاغل الدنيا، ويأخذ فيها القلب جرعة من الإيمان تدفعه في عليين.

مشروعية الخلوة:

الخلوة فعل شرعي أمر به القرآن الكريم، وهي اقتداء بنبي هذه الأمة ﷺ الذي كان يخلو بغار حراء الأيام والليالي. ثم هي سنة الأنبياء من قبل عليهم الصلاة والسلام، يقول الله تعالى على لسان إبراهيم الخليل لما ازداد عصيان قومه ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾**﴾[٤٠٢]، ويقول تعالى في قصة أهل الكهف ﴿**وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾**﴾[٤٠٣]. هذا في جانب اعتزال المشركين، وهذه عزلة دائمة تختلف عن المعنى الذي ذكرناه سابقا. أما ما نريده من العزلة هنا فهو أقرب إلى الخلوة التي سنها رسول الله ﷺ.

الدليل عليها من السنة النبوية:

"عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا، قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ

---

[٤٠٢] الآيتان 48 و 49 سورة مريم.

[٤٠٣] الآية 16 سورة الكهف.

الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ"[٤٠٤].

وقد عُلِمَ أن رسول الله ﷺ لم يترك الاعتكاف حتى قُبض. فكان يخلو في العشر الأواخر من رمضان. وقد سماه الفقهاء اعتكافاً.

وللعلماء في الخلوة أقوال كثيرة كلها تحث عليها، ولا يتسع المجال هنا لذكرها كلها، وأذكر بعضها على سبيل الاختصار:

الإمام الغزالي: يقول في كتاب «الإحياء» (وأما الخلوة ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر، فإنهما دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ القلب من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها، لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح له أن ينْزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه؟ فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص ، فلا بد من ضبط الحواس إلا على قدر الضرورة ، وليس يتم ذلك إلا بالخلوة، وعندما يسْلَم من عِلَلِه وأمراضه وتعلقاته ومشاغله وخواطر الشيطان ووساوسه يستحق نعيم قربه، ويستعد لتلقي العلوم اللدنية والأسرار الربانية والنفحات النورانية.

أبو الحسن الشاذلي: يذكر رحمه الله للخلوة عشر فوائد: السلامة من آفات اللسان، وآفات النظر، وحفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة، وحصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، والسلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال، والتفرغ للعبادة والذكر، والشعور بحلاوة

---

[٤٠٤] جزء من حديث طويل في كتاب صحيح البخاري، باب بدء الوحي.

الطاعات، وراحة القلب والبدن، وصيانة النفس والدين من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة، والتمكن من عبادة التفكر والاعتبار.

الدكتور مصطفى السباعي: يقول في كتاب «مذكرات في فقه السيرة»: يجب على الداعية إلى الله أن تكون له بين الفينة والفينة أوقات يخلو فيها بنفسه ، تتصل فيها روحه بالله جل شأنه، وتصفو فيها نفسه من كدورات الأخلاق الذميمة والحياة المضطربة من حوله، ومثل هذه الخلوات تدعوه إلى محاسبة نفسه إن قصَّرت في خير أو زلت في اتجاه.

وأخيراً أختم برواية أبي هريرة عن النبي ﷺ **"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ"**، وذكر **"وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"**[٤٠٥].

الركن السابع: الجوع

هذا هو الركن السابع والأخير من أركان الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية. أستهله بآيات من كتاب الله تدل على حقيقة فهمنا لهذا الركن حتى لا نتهم فيما ليس فينا. يقول الله تعالى ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ** ... ﴾[٤٠٦]. ويقول أيضاً

---

[٤٠٥] الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا** إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، **وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**". البخاري.

[٤٠٦] ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴿٣٢﴾ ﴾ الآية 32 سورة الأعراف.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[٤٠٧].

فلسنا ممن يحرم ما أحل الله، إلا أننا ننادي بالاعتدال والتوسط في التعامل مع شهوة البطن، ونرمي بذلك إلى المجاهدة وعدم الإفراط في تناول الطعام والبغي بغير الحق، لأن البغي في الشيء الحلال حرام، وهو من الإسراف الذي نهى الله تعالى عنه ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٤٠٨]، ومصداقاً لقول النبي ﷺ **"مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ "**[٤٠٩]. وهذا هو الاعتدال بعينه. وهذا هو منهج الرسول ﷺ في هذه القضية الذي إذا قسناه بأنماط الاستهلاك القائمة في زماننا وجدنا هناك بوناً شاسعاً بين منهج الرسول ﷺ وما هو قائم اليوم، خصوصاً إذا عرفنا أنه ﷺ لم يكن يأكل إلا في مِعْ ي واحد، ولم يشبع من خبز الشعير قط، ولم تكن توقد في بيته النار لطهي الطعام شهوراً عدة، وكان أغلب طعامه الأسودان التمر والماء. ولم يكن ذلك فقراً ولا فاقة إلا أنه اختاره ﷺ تعليماً لخيار أمته، كيف لا وقد عَرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً فأبى ذلك وقال: أجوع يوماً فأصبر، وأشبع يوماً فأشكر. وهذه هي الحكمة الحقيقية من هذا الركن.

وقد عرفنا لاحقاً أن النفس البشرية تجنح بطبيعتها نحو الشهوات ، وهي أمَّارة بالسوء أصلاً. فالمجاهدة والرياضة هما درب التزكية لهذه النفس حتى تتمكن من الشكر ، قال تعالى

---

[٤٠٧] الآية 87 سورة المائدة.

[٤٠٨] الآية 31 سورة الأعراف.

[٤٠٩] الترمذي.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾[410]، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾[411]. فالصفات الذميمة في النفس، ومنها الشره في الطعام ، أمور يجب تقويمها وتحويلها إلى صفات محمودة، فالشُّحُّ يتحول بالمجاهدة والتزكية إلى السخاء، والبغض إلى الحب، والكِبر إلى التواضع، والغضب إلى الحِلْم، والسخط إلى الرضا، وهكذا في بقية أحوال النفس. ولا يتأتى ذلك إلا بالمجاهدة والتزكية.

فالطريقة لم تأت بهذا المنهج من عندها ولم تَسْتَقه، كما يدعي البعض من أصول شركية أو فلسفات وضعية، وإنما هو تطبيق عملي لشرع الله الذي جاء به رسول الله ﷺ. ولئن كانت الطريق قد اتُّهمت بذلك فلأنها تُعنى عناية خاصة بتزكية النفس وتوجيهها نحو خالقها ضمن قواعد الشرع الحنيف دون غيرها، فكانت تهمة عمياء لا تستند إلى الحقيقة في شيء.

وصيام النافلة هو جزء من التطبيق العملي لهذا الركن ولهذا المفهوم المعتدل لحقيقة الجوع، فكان رسول الله ﷺ يحث على صيام النافلة من هذا الباب، فقد أمر عليه الصلاة والسلام بصيام الأيام البيض من الشهر القمري (13، 14، 15) وحثَّ على صيام يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، ثم قال **"أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ،كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ"**[412]، إلى آخر أنواع صيام النافلة. وما ذلك إلا دربة على قيادة النفس وإحكام السيطرة عليها، حتى أنه ﷺ كان حريصاً على عدم الإقبال على الموائد بنهم وشراهة للصائم، حيث أنه سنَّ لنا أن نُفطر على تمرات ، ثم نقوم لأداء صلاة المغرب ، وبعدها يكون الإفطار،

---

[410] الآيتان 9 و 10 سورة الشمس.

[411] الآية 67 سورة الفرقان.

[412] البخاري.

وهذا علاج علمي ثبتت فائدته مخبرياً، حيث تبين أن هذه التمرات تعيد للجسم مادة السكر التي فقدها خلال النهار، والتي يؤدي فقدانها إلى الإقبال على الطعام بشراهة عند الإفطار، فأمَرَنا أولاً بتناولها ثم الصلاة ، وفي أثناء الصلاة تعيد هذه التمرات الجسم إلى طبيعته وتعوض ما فقد من مادة السكر، وبعد الصلاة يُقبل على الطعام بشكل طبيعي لا شراهة فيه.

والمعروف أن كثرة الطعام تقسِّي القلب وتؤدي إلى الجشع والطمع، هذا عدا عن كونها تؤذي الجسد وتُسبب الأمراض المزمنة ، كأمراض القلب وضغط الدم والسمنة والجلطات والسكري وغيرها. والاعتدال في تناوله يمنع ذلك كله. كما أن الجوع يُذَكِّر الغني بالفقير ليَسُدَّ فاقته وجوعه، فقد قال ﷺ **"لَيْسَ بِالْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبِيتُ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ"**[٤١٣] .

فهذا الركن إذاً يحافظ على التوازن والتكافل في المجتمع المسلم من خلال التطبيق العملي له، حين يتذكر الغني الجائع فيَسْلَم المجتمع من حقد الفقراء والجائعين حين يسدوا رمقهم ويطفئوا عطشهم ويمحوا فاقتهم.

العهد

(أدلته، وكيفية تلقينه في الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية)

أخذا بأمر الله تعالى، واقتداء بسنة رسوله ﷺ، استمر مشايخنا رجال سند الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية في إعطاء عهد رسول الله ﷺ للخلق من بعده ، لما في هذه العهود من أثر واضح في تزكية نفوس السالكين، وهو المنهج القويم الذي استمروا عليه، لما في ذلك من ميثاق غليظ يربط المخلوق بخالقه. فكان لا بد للسالك بعد تدرُّجه في أبجديات السلوك أن يجلس إلى شيخ وارث، متصل السند برسول الله ﷺ عهدا عن عهد، وشيخا عن شيخ، ووارثا عن

[٤١٣] المستدرك على الصحيحين.

وارث حتى رسول الله ﷺ. ولم يكن لأحد من الناس زمن رسول الله ﷺ أن يدخل في دين الله إلا ببيعة واضحة بيَّنتها السنة النبوية الشريفة، وكذا الأمر من بعد رسول الله ﷺ في خلفائه وأوليائه من بعده.

ورد في كتاب أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية تحت عنوان (أهمية السند) ما نصه: واستمرار السند وعدم انقطاعه أمر جوهري في التصوف، سواء في تلقي مشيخة الطريق أو في تلقين العهد للمريد. فمن ادعى المشيخة بدون سند فهو مقطوع ولا يعتد بمشيخته. ومن لم يكن مأذوناً منهم فهو مطرود من حضرتهم، حتى لو ادَّعى سنداً مسروقاً لا يقوم على إجازة أو دليل. ومن لم يدخل في طريق القوم من المريدين بالتلقين فهو غير معدود منهم لأن الطريق سلوك، والسلوك صحبة، ولا صحبة بدون عهد، ولا عهد بدون إذن، ولا إذن بدون سند. وهذا أمر لا خلاف عليه عند أهل التصوف... ويمكن للقارئ الاطلاع على أسانيد الطريقة الخلوتية في كتاب أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية.

واختلفت صور البيعة من شأن إلى شأن، فمنها ما كان بيعة حكم وسياسة، ومنها ما كان بيعة طاعة وعبادة، ومنها ما كان للنصرة والإيواء، ومنها ما كان لاجتناب النواهي وامتثال الأوامر، وغير ذلك من أنواع العهود.

ولما كان أمر البيعة في طريقتنا من الأصول الثابتة التي لم تتغير ولم تتحول خلال القرون، أسوق لإخواننا الأدلة الشرعية على أصل هذه العهود ، وأنها من صُلب العقيدة الإسلامية السمحة، وأنها في الرجال والنساء أفرادا وجماعات.

أدلة العهد من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾** ﴾[٤١٤].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ...** ﴾[٤١٥].

وقال تعالى: ﴿ **...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا** ﴾[٤١٦].

أدلة العهد من السنة النبوية الشريفة:

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال "**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ"، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ**[٤١٧].

---

[٤١٤] الآية 10 سورة الفتح.

[٤١٥] ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ الآية 91 سورة النحل.

[٤١٦] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ الآية 34 سورة الإسراء.

[٤١٧] البخاري.

عن يعلى بن شداد قال حدثني أبي شداد بن أوس ﷺ، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال **"هل فيكم غريب؟ (يعني أهل الكتاب)، قلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب، فقال: ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال: الحمد لله، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، إنك لا تخلف الميعاد، ثم قال: أبشروا فإن الله قد غفر لكم"**[٤١٨].

وأما بيعته ﷺ للإمام علي كرم الله وجهه فإنها كانت فردية خاصة به ، لما رواه الإمام علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ حين سأله بقوله: **"يا رسول الله، دلني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عنده تعالى ، فقال ﷺ: عليك بمداومة ذكر الله سرا وجهرا، فقال علي: كل الناس ذاكرون فخُصَّني بشيء، قال رسول الله ﷺ: أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السماوات والأرضين في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ، ولا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله، ثم قال علي : فكيف أذكر ؟ قال النبي ﷺ: غمِّض عينيك واسمع مني : لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قلها ثلاثا وأنا أسمع، ثم فعل ذلك برفع الصوت"**[٤١٩].

---

[٤١٨] أخرجه الإمام أحمد، والطبراني، والبزار ورجاله موثوقون ، والحاكم في مستدركه على الصحيحين واللفظ له.

[٤١٩] رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن.

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قلت يا رسول الله اشترط عليّ فأنت أعلم بالشرط، قال ﷺ: **"أبايعك على أن تعبد الله وحده ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح لكل مسلم وتبرأ من الشرك"**[٤٢٠].

وتسهيلا على المسلم، وحتى يدخل في هذه العهود من كان ذا همّة عالية ومن هو د ون ذلك، أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام ومسلم في كتاب الإمارة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: **"كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعتم"**[٤٢١].

وأما بيعته ﷺ للنساء:

عن سلمى بنت قيس رضي الله عنها، وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، وقد صلّت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار، قالت: **"جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نسوة من الأنصار ، فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف، قال: ولا تغششن أزواجكن، قالت: فبايعناه ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسلي رسول الله ﷺ ما حرم علينا من مال أزواجنا، قالت: فسألته فقال: تأخذ ماله فتحابي به غيره"**[٤٢٢].

وعَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ قَالَتْ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسَاءٍ نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ عَلَيْنَا مَا فِي الْقُرْآنِ (أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا) سورة الممتحنة آية 12 الْآيَةَ، قَالَ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ

---

[٤٢٠] أحمد.

[٤٢١] اللفظ للبخاري.

[٤٢٢] رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني.

وَأَطَعْتُنَّ, قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنْ أَنْفُسِنَا, قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تُصَافِحُنَا؟ قَالَ: إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، كَقَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ"[٤٢٣] .

أما بيعته ﷺ للصبيان الذين لم يبلغوا الحلم:

عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم **"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَايَعَ الْحَسَنَ، وَالْحُسَيْنَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَهُمْ صِغَارٌ لَمْ يَبْلُغُوا، قَالَ: وَلَمْ يُبَايِعْ صَغِيرًا إِلا مِنَّا"**[٤٢٤]، يعني إلا من آل بيت النبي ﷺ.

هكذا استمر العهد من رسول الله ﷺ إلى أصحابه وخلفائه من بعده وأوليائه بصيغ وعبارات ومعان شتى، وكان كل خليفة يخلف خليفة تؤخذ له البيعة فورا.

عن أنس رضي الله عنه قال: (قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر رضي الله عنه، فقلت لعمر: ارفع يدك أبايعك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك على السمع والطاعة فيما استطعت).

واستمرت هذه العهود في الأولياء من أمة الرسول ﷺ وفي الورَّاث من آل بيته الأطهار. وكُتُب التاريخ تشهد لهذه العهود من أئمة آل البيت الأطهار علي والحسن والحسين وزين العابدين والباقر والصادق... إلخ، مرورا بالعارفين بالله الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ إبراهيم الدسوقي والشيخ أحمد البدوي... إلخ. واستمر مشايخنا رجال سند الطريقة على هذا النهج حتى زماننا هذا.

---

[٤٢٣] رواه أحمد، والنسائي.

[٤٢٤] المعجم الكبير للطبراني.

نقض العهود:

لقد حذر الله تعالى من نقض العهود لأنها في حقيقتها عهود مع الله، ويشهد عليها الحق سبحانه وتعالى ما دامت في طاعته وامتثال أمره.

قال تعالى: ﴿...وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[425].

وقال أيضا: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا..﴾[426].

وقال أيضا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[427].

---

[425] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ الآية 7 سورة الأحزاب.

[426] ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾ الآيتان 91 و 92 سورة النحل.

[427] الآية 10 سورة الفتح.

فنقض العهد يعود ضرره على الناقض. وفي الطريقة نقض العهد يخرج السالك من الطريق كما تخرج الردة الرجل من الإسلام. قال بعض العلماء إن هؤلاء لم يرتدوا عن أصل الدين وإنما ارتدوا عن فعل شيء من فروعه، بدليل أنه ﷺ يشفع فيهم إذا سكن الغضب الإلهي.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **"من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حُجَّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"**[٤٢٨].

فليحرص كل سالك على الوفاء بعهده ولا يتقدم لأخذه أصلا إلا حين يجد في نفسه القدرة على الوفاء به حتى لا يقع في مخالفة تغضب الله ورسوله.

ومن هنا كانت حكمة مشايخنا في التريث في إعطاء العهود لطلابها حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ويكونوا أهلا لأخذها قادرين على الوفاء بها.

كيفية تلقين العهد:

بعد فترة من المجاهدة والتزكية للمريد، وبعد أن تتعمق فيه بعض مراتب السلوك والالتزام، وبعد أن يتدرب على مقاومة شهواته وملذاته، ويقوى على آفات نفسه، فيحيل القبيح منها إلى الحسن، يتقدم لأخذ عهد الطريقة القائم على أن الطاعة لله تجمع، والمعصية تفرق.

وكيفية تلقين العهد أن يجلس الشيخ جاثياً على ركبتيه، والمريد أمامه، ويضع الشيخ يده اليمنى في يد المريد اليمنى، ويده اليسرى بين كتفيه، ويقرأ هو والمريد الفاتحة ثلاث مرات، ثم يقول الشيخ، والمريد يردد خلفه:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

---

[٤٢٨] مسلم.

بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله، وعلى ملة الصادق رسول الله سيدنا محمد ﷺ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاث مرات). تبت إلى الله ورجعت إلى الله. تبت إلى الله توبة نصوحاً لا أنقض عهدها أبداً. والله على ما أقول وكيل. رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبشيخك شيخاً ودليلاً إلى الله تعالى، وعاهدتك بالله العظيم على أن طاعة الله والرسول تجمعنا، وأن معصية الله والرسول تفرقنا. والله على ما نقول وكيل.

ثم يقول الشيخ للمريد: أغمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات، ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات وأنا أسمع.

وبعد فراغهما يقول الشيخ:

سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله ﷺ حقاً وصدقاً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[٤٢٩]. ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾[٤٣٠] (ثلاثاً). ﴿...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٤٣١]. ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ

---

[٤٢٩] الآية 10 سورة الفتح.

[٤٣٠] الآية 18 سورة الفتح.

[٤٣١] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ الآية 34 سورة الإسراء.

تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[٤٣٢] . ﴿
يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ... ﴾[٤٣٣]
(ثلاثاً). ثم يقول الشيخ: (أجزتك بطريقتنا الخلوتية الجامعة الرحمانية ، وأذنتك بقراءة أورادها كما أجازني وأذنني بذلك شيخي إجازة لنفسك. قبلت؟) فيقول: قبلت ، ثم يقرأ الفاتحة ، ثم يعظه موعظة تنفعه في آخرته.

---

[٤٣٢] الآية 91 سورة النحل.

[٤٣٣] ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ الآية 27 سورة إبراهيم.

نسب السيد الشيخ حسني حسن الشريف أطال الله عمره

شيخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

هو الشريف الحسيني السيد حسني (الخليل) بن السيد حسن (الخليل) بن السيد خير الدين (الخليل) بن السيد عبد الرحمن شيخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية (الخليل) بن السيد حسين (الخليل) بن السيد يوسف (الخليل) بن السيد صالح (القدس) ابن السيد يوسف (القدس) بن السيد صالح (القدس) بن السيد صلاح الدين زعتر (تولى قلعة الخليل بعد أبيه ودفن فيها) (الخليل) بن الأمير شرف الدين زعتر (تولى أمارة الخليل في بداية العهد العثماني وتوفي في الخليل سنة 1050 هجرية) (الخليل) بن السيد محمد شمس الدين (ذكرين) بن السيد عبد الله (القدس) بن بن السيد أحمد شهاب الدين (الحجاز) بن السيد محمد حميد الدين (أبوحامد) قاضي القضاة (كان يحفظ القرآن الكريم ويتقنه بالروايات) (طرابلس) بن السيد بدر الدين (الخليل) ابن السيد شعيب (الخليل) بن السيد محمود (الخليل) بن العارف بالله محمد السقواتي (الخليل) بن السيد عبد الله (تونس) بن السيد عز الدين القاسم (شارك في جميع فتوحات صلاح الدين) (المدينة المنورة) بن السيد جعفر المهنا (أمير المدينة المنورة) (المعلمة بمكة) بن السيد عبد الله (السويس) بن السيد عمر (الساقية الحمراء) بن السيد علي (مطرطه) بن السيد عثمان (أمير

الساقية الحمراء من سنة 345 إلى 399 هجرية) (المغرب) بن السيد محمد أبو عمران (تونس) بن بن السيد عيسى (المغرب) بن السيد عبد الرحمن (بغداد) بن السيد يحيى التقي (البصرة) بن السيد الإمام الحسن العسكري (سُرّ من رأى) بن سيدنا الإمام علي الهادي (سُرّ من رأى) بن سيدنا الإمام محمد الجواد (بغداد) بن سيدنا الإمام علي الرضا (خراسان) بن سيدنا الإمام موسى الكاظم (بغداد) بن سيدنا الإمام جعفر الصادق (البقيع) بن سيدنا الإمام محمد الباقر (البقيع) بن سيدنا الإمام علي زين العابدين (البقيع) بن سيدنا الإمام الحسين ﵁ (كربلاء) بن سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت سيدنا رسول الله ﷺ .

الدلالة النورانية

للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

الفهرس



حضرة سيدنا الشيخ حسني بن حسن الشريف

شيخ الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

ولادته وتربيته وعلومه

- ولد الشيخ حسني الشريف حفظه الله في مدينة عمان لواء وادي السير عام ١٩٦٤، وتلقى علومه الأساسية في مدارسها، وحصل على شهادة التوجيهي من مدرسة فلسطين الثانوية.
- تابع تحصيله الأكاديمي وحصل على شهادة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية.
- تربى في بيت السادة الاشراف على يد والده الشيخ حسن بن الشيخ خير الدين بن الشيخ عبد الرحمن الشريف، وتلقى عنه علومه الشرعية والإرشاد بالتلقي والصحبة، فكان ملازمًا لوالده طوال حياته.

شيخًا للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية

- تم تنصيبه شيخًا للطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية عام ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م . ومنذ ذلك الوقت يعكف على تربية أتباع الطريقة وإرشادهم في تزكية نفوسهم في إطار الشرع الحنيف ليصبحوا نماذج تحتذى في الأخلاق الفاضلة والعمل لخدمة رسالة الدين، حيث ينشطون الآن في خدمة مؤسسات زوايا الأشراف المنتشرة في العالم لخدمة دين الله والدعوة إليه وخدمة مجتمعهم.
- كما نشط في الوعظ والإرشاد والخطابة في مساجد عمان مدة ثلاثين سنة.

مؤسسات الشيخ حسني الشريف الخيرية

- أسس الشيخ حسني الشريف وقيفية دار الإيمان عام ١٩٩٠ م، والتي تحتوي على مسجد وزاوية للطريقة وتكية لإطعام الطعام لعابري السبيل.
  والتي انبثق عنها فيما بعد:
- مثابة دار الإيمان لرعاية وإيواء الأيتام
- جمعية دار الإيمان الخيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين وإنشاء دور القرآن الكريم.
- تكية زاوية الأشراف في الأغوار لتقديم الطعام والمساعدات العينية
- تكية سيدنا النبي في منطقة الطيبة لتقديم الطعام والمساعدات العينية
- تكية زاوية الأشراف في أكرا عاصمة دولة غانا لإطعام الطعام.
- سكن للطلاب الجامعيين الفقراء في منطقة البنيات
- برنامج حفظ النعمة لتوزيع المواد العينية
- مركز سيدنا النبي الطبي في منطقة الطيبة

مؤسسات الشيخ حسني الشريف التعليمية والدعوية

- جمعية الدرة الشريفة الثقافية التي انبثق عنها العديد من البرامج العلمية والدعوية
- روضة ومدارس الدرة الشريفة بفرعيها (فرع الطريق المطار، وفرع البيادر) والتي تسعى لبناء جيل نهضة الأمة بالعلم والأخلاق
- روضة ومدارس التحفة في منطقة القسطل بعمان والتي تتبع لمثابة دار الإيمان لرعاية وإيواء الأيتام
- معهد الدرة الشريفة للدراسات الشرعية وتعطى فيه المحاضرات والندوات العلمية والثقافية في الفقه والعقيدة والسيرة واللغة العربية والتزكية
- معهد الدرة الشريفة لتعليم اللغة العربية في أكرا عاصمة غانا
- معهد الدرة الشريفة لتعليم اللغة العربية في دولة بوركينا فاسو
- روضة الدرة للأطفال في سراييفو عاصمة البوسنة
- عدد كبير من دور القرآن الكريم في أغلب محافظات الأردن
- مبادرة صناعة العالم الرباني
- مقرأة الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية للقراءات العشر وهي تابعة لجمعية الدرة الشريفة الثقافية

مؤلفات الشيخ حسني الشريف

- كتاب الدلالة النورانية
- كتاب التقريب بين المدارس الإسلامية ودور التصوف فيه
- كتاب دليل الحاج والمعتمر
- كتاب جواهر الإيمان

مشيخة الطريقة الخلوتية

www.khalwatiya.com